مشكلة العدد في مصادر التاريخ الإسلامي
خداع الرقم أم غلط الرواة؟!(*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د. نجيب بن خيرة

أستاذ مشارك قسم التاريخ والحضارة الاسلامية كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية/جامعة الشارقة

الملخص:

لا بد لكل متصدر لدراسة التاريخ الوقوف على مناهج النقد قديما وحديثا، ليتبين له مواطن الزلل فيما تورده كتب التاريخ من أغاليط ومبالغات في ما يخص ذكر الأعداد في (قتلى الحروب، وشهداء الفتوح، وحساب الأموال، وغلبة الأنصار، وتهويل الوقائع....) دون التثبت منها، والروية في إيرادها، والتأني في روايتها، والوقوف على حقيقتها..

وقد أفضت هذه المبالغات في ذكر الأعداد إلى كثير من اللغط في تفسير الحوادث، وفهم التاريخ، واستنباط عبره، والولوج إلى متاهات الوهم والغلط، مما أفسد منهج النظر، وأبقى على كثير من حشود الروايات تملأ المصنفات والرسائل والكتب دون تمحيص أو غربلة أو تحقيق.

ولعل كُتَّاب الدواوين في العصر الوسيط ساهموا بنوع من الفتنة بالرقم والانخداع به، حين كانوا يوردون مقادير الخراج ومكاييل الأوزان وميزانيات الدولة وتخمينات السكان، مما أدى إلى الإحساس بالمرجعية العليا للأرقام دون التحقق منها لعدم توفر الآليات التي تسمح بذلك مما توفر في عصرنا الراهن.

كما أن العقل البشري في العموم يتعامل مع الأرقام باهتمام بالغ، وكل نص أو خبر

(*) مجلة "وقائع تاريخية" العدد (٣٧)، يوليو ٢٠٢٢.

أو رواية تحوي أرقاما تشد انتباه السامع، وتجذب القارئ، بل وتوهمه أحيانا بالصدقية والوثوقية، وتبقى مهمة التحقيق والتمحيص في مدى مطابقة هذا الرقم للواقع، وإمكانية وجوده، أم أنه خداع الرقم، وغلط الراوي!

وهذه البحث المتواضع سوف يقدم هذا الإشكال في النقاط التالية:

١ . التاريخ... رواية ورؤية.

٢ . منهج النقد التاريخي عند علماء المسلمين.

٣ . مبالغات الأعداد في مصادر التاريخ الإسلامي (نماذج مختارة).

٤ . نحو قراءة جديدة للعدد في مصادر التاريخ الإسلامي.

الكلمات المفتاحية: عدد القتلى . المعارك – مصادر التاريخ – غلط الرواة.

Abstract:

The problem of the number in the sources of Islamic history Deceit the number or wrong narrators!؟

The one who studies history must look at the methods of criticism, ancient and modern, in order to find out for him the pitfalls in what the history books mention of the errors and exaggerations regarding the mention of numbers in (the dead of wars, the martyrs of conquests, the account of money, the victory of the supporters, and the exaggeration of facts....) Without verifying it, delaying its quotation, deliberating in its narration, and standing on its truth.

These exaggerations in mentioning the numbers have led to a lot of errors in interpreting accidents, understanding history, and deducing benefits from it, which spoiled the approach to consideration, and left many narrations crowded with books, letters and books without scrutiny, sifting, or investigation.

Perhaps the scribes of the Diwans of the Middle Ages contributed with a kind of deception regarding the number, when they reported the amounts of the tax, the measures of weights, the state budgets and the estimates of the population, which led to a sense of the supreme reference to the numbers without verifying them due to the lack of mechanisms that allow this from what is available in our time.

Likewise, the human mind in general deals with numbers with great interest, and every text, news, or narration contains numbers that draw the attention of the listener, attract the reader, and even delude

him sometimes of honesty and confidence in the news. Its existence, or is it deceiving the number, and the narrator made a mistake?!.

This modest research will present this problem in the following points:

1 History...a narrative and a vision
2 The method of historical criticism according to Muslim scholars
3 Exaggerations of numbers in the sources of Islamic history (selected models)
4 What should be done? Point of view.

Key words: The number of dead - battles - sources of history - wrong narrators

١ . التاريخ... رواية ورؤية:

ليس النص التاريخي هو الواقع كما كان، ولكنه رواية الإنسان عن هذا الواقع ورؤيته له وتأويله له، وبما ان الرواية التاريخية نصٌّ فقد اعتدنا أن نصمت عند حدود النص في خشوع دون إدراك أن هذا النص هو منتج ثقافي ولد في ظروف خاصة وشروط بيئية معينة وإكراهات تختلف عن الشروط الموضوعية للمؤرخ حين دراسة هذا النص، لذلك يتعرض النص التاريخي للزيادة والنقص والتحوير والتحويل حسب ما يتمثله هذا المؤرخ أو ذلك من قناعات ورؤى وتوجهات.

وهذا ما يقرره المفكر العربي محمد عابد الجابري بقوله: ".. إن قيمة التراث الفعلية ليست في ذاته بقدر ما هي فيما يمكننا نحن أن نستفيد منه، والأمر نفسه بالنسبة للمعاصرة والحداثة؛ لأن الحداثة من أجل الحداثة لا معنى لها. الحداثة رسالة ونزوع من أجل التغيير، تحديث الذهنية، تحديث المعايير العقلية والوجدانية. وعندما تكون الثقافة السائدة في المجتمع ثقافة تراثية فإن خطاب الحداثة فيها يجب أن يتجه أولا وقبل كل شيء إلى التراث بهدف إعادة قراءته وتقديم رؤية عصرية عنه"[١].

ومن يريد أن يحقق الوعي التاريخي الذي هو أس النهضة المرجوة، فإنه

لا يمكنه أن يتجاهل التراث بما فيه من خطأ وصواب، من غث وسمين، من عدل وظلم، من مبالغة وإنصاف، وهو تراثنا وليس تراث غيرنا، نتفحصه، ونتتبع مسالكه عبر نصوصه ونكتشف مواطن الخلل فيه، باستعمال أدوات عصرنا ومناهج حاضرنا دون أن نفصل هذا الزخم من التراث عن البيئة التي وجد فيها، ونعالجه بعيدا عن معطيات زمانه ومكانه، ثم تحويله إلى طاقة مشعة من الخبرة والعبرة، والفكر والثقافة مما يفيد حاضرنا ويعيننا على تحقيق الإبداع الذي لا يعني "إحلال الماضي محل الحاضر أو القديم محل الجديد ولا العكس، بل هي أولا وأخيرا إعادة بنية الوعي بالماضي والحاضر والعلاقة بينهما، وإبداع في إعادة تخطيط لثقافة الماضي وثقافة المستقبل في آن واحد ، والتخطيط لثقافة الماضي بمعنى إعادة كتابة تاريخها، وبالتالي إعادة تأسيسها في وعينا وإعادة بنائها كتراث لنا نحتويه بدل أن يحتوينا..."[٢].

وعندما نتعامل مع التاريخ؛ فإننا لا نتعامل معه كماضٍ انتهى وانقضى، وصار رواية نستلهم منها الشعور الجميل المؤقت بعظمة المنجز، أو كُتيبا إرشاديًّا نستخدمه في مواقف وحوادث مشابهة لتلك التي قرأنا عنها، ونكون قد وقعنا سكارى بنشوة الماضي الجميل، الأمر الذي قد يخلق لدينا إما العظمة أو عقدة الاضطهاد.

إن التاريخ هو قصة من نحن ومن أين أتينا ويمكن أن يكشف عن وجهتنا... على الرغم من أن نتائج الدراسة التاريخية ليست مرئية، وأقل فورية... إنه يزودنا بالبيانات التي تُستخدم لإنشاء قوانين أو نظريات حول جوانب مختلفة من المجتمع.. [٣] إن التاريخ يجعلنا أفضل صناع القرار والذين لا يتعلمون التاريخ محكوم عليهم بتكراره"[٤].

والحق أن اعتزاز الناس بماضيهم أمر طبيعي ومطلوب، لكن ذلك لا يخلو من الآثار السلبية، بحيث إن الرجوع إلى التاريخ وسرد روايته لتضخيم

منجز السابقين قصد شحن الناشئة بالعظمة والفخار، مع انتقاء الوقائع التاريخية دون نقد أو تمحيص، وسوق المشاهد مبعثرة مجتزأة مقطوعة أوائلها بأواخرها يجعل التاريخ عرضة للتهويل والمبالغة، مما يشوه حقائقه، ويؤخر النفع به.

كما أننا لا نستطيع أن نخرج من شرنقة الماضي وترديد رواياته ما لم نتخذ من رواية الماضي عدة لرؤية المستقبل، فنحن مستقبليون بامتياز، والمستقبل هو هاجس الإنسان على الدوام، فهل نستطيع أن نجعل التاريخ كرواية منطلقا لإشباع نهمنا من الاطلاع على تحسس المستقبل ورؤيته، وجعل هذا الحاضر مُضاء بالتاريخ لنهتدي معالم الطريق إلى مستقبل مشرق وآمن. ويقينا أن هذا التاريخ لا يستطيع إعطاءنا التفاصيل عن هذا المستقبل بل يعطينا مؤشرات عامة تصنع رؤية ثاقبة، وتصحح وضعا قائما، وتجعلنا أكثر ثقة وصلابة ونحن ماضون في دروب الحياة.

٢. **منهج النقد التاريخي عند علماء المسلمين:**

إن المكتبة التاريخية الإسلامية تزدحم بالمصادر التي كان من منهجها الأول جمع الروايات وحفظها من الضياع، فنقلوا عن الرواة والإخباريين ممن يثقون فيهم ومن لا يثقون، ممن يعلمون ضعفه في النقل وممن يعلمون صدقه ونزاهته، وقد دون ذلك الإمام الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) في مقدمة كتابه الجامع (تاريخ الرسل والأمم والملوك) فقال: "فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين، مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا، وإنما أوتي من بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا"[٥].

وبالرغم من هذا الاعتراف الواضح من الطبري بصدق النقل عن

المصدر دون التمحيص في المضمون، فإن للطبري آليات أخرى للنقد، منها: ذكر أكثر من رواية عن الحادثة الواحدة، ومنها أيضا إيراد عبارات دالة وذات مغزى في الحكم على الرواية مثل: قالوا، زعموا، حدثنا، سمعت، كما وأن عدم إشارة الطبري إلى السند في رواية ما دلالة على ضعفها. وحين لا يتكلم الطبري عن الحنابلة ويهمل أخبارهم رغم سطوتهم في عصره يدل دون شك على موقف نقدي...[٦].

فحسب المؤرخين الأوائل من كتاب السيرة والمغازي والطبقات أنهم كانوا يوردون الأخبار منسوبة إلى رواتها، ويضعون بين يدي القراء كل ما وصلت إليه أيديهم، وقد خلفوا لنا تراثا ضخما تفاخر به الأمة ثقافات الأمم وتراث السابقين.

ولكن ذلك لم يمنع من وجود منهج نقدي تتفاوت درجته بين الصرامة والتساهل وبين النقد اللاذع والتصويب الظريف.. فهذا أبو عمرو الجاحظ (ت٢٥٥هـ/٨٦٨م) يورد ملاحظات ذكية في مجموع رسائله وكتبه، ينقد فيها نقدا لاذعا ما أشاعه الكُتاب الشعوبيون من روايات منتحلة وموضوعة، كما انتقد أخباري الفرس ورواتهم بأنهم ينتحلون الأخبار والروايات ويصنفون الكتب في تاريخ الفرس وتراثهم قبل الإسلام حتى اختلط الصحيح بالموضوع[٧].

هذا عن المؤرخين الأوائل، أما عن المؤرخين الذين جاءوا بعدهم فقد حاولوا أن يضعوا ملامح منهج نقدي يتوغل في أدغال الروايات، ويغربل حشودها التي لا تكاد تنتهي، ويعرضها على معيارية صارمة، دون الالتفات إلى أن هذا التراث هو ميراث السلف الصالحين يجب الامتثال لكل ما ورد فيه دون نقد أو تمحيص...

فهذا أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ /٩٥٧م) ينتقد كتبة التاريخ ويقول: إنه وجد مصنفي "الكتب بين مجيد ومقصر، ومسهب

ومختصر، ووجد الأخبار زادت مع زيادة الأيام، حادثة مع حدوث الأزمان، وربما غاب البارع منها على الفطن الذكي، ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته..."[٨]. وهذا موقف نقدي ممن سبقه من المؤرخين.

وقد وجدنا أن الرحالة محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي البشاري (ت ٣٨٠هـ /٩٩٠م) صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) يوجه النقد لكتابه وما ورد فيه من أخطاء، غير مبرئ نفسه منها فقال: "ولم يكن النقد" ثم إنِّ لا أبرِّئ نفسي من الزلل، ولا كتابي من الخلل، ولا أسلّمه من الزيادة والنقصان ولا أفلته من الطعن على، كل حال"[٩]، وقد امتاز منهجه بالإسناد ولا سيما في حالة الشك حتى ولو كان قليلا، مما جعل مصنفه يمتاز بالدقة والإتقان، وقد قرر ذلك في مقدمته بقوله: "اعلم أنى أسَّست هذا الكتاب على قواعد محكمة وأسندته بدعائم قويَّة وتحرَّيت جهدي الصواب، واستعنت بفهم أولى الألباب،، وسألت الله عزَّ اسمه ان يجنِّبنى الخطأ والزلل، ويبلغني الرجاء والأمل،، فأعلي قواعده وأرصف بنيانه ما شاهدته وعقلَّته، وعرفته وعلّقته، وعليه رفعت البنيان وعملت الدعائم والأركان، ومن قواعده أيضا وأركانه، وما استعنت به على تبيانه، سؤال ذوي العقول من الناس، ومن لم أعرفهم بالغفلة والالتباس، عن الكور والأعمال في الأطراف التي بعدت عنها، ولم يتقدَّر لي الوصول إليها، فما وقع عليه اتِّفاقهم أثبته، وما اختلفوا فيه نبذته، وما لم يكن لي بدَّ من الوصول إليه والوقوف عليه قصدته وما لم يقر في قلبي ولم يقبله عقلي أسندته إلى الذي ذكره أو قلت زعموا وشحنته بفصول وجدتها في خزائن الملوك..." [١٠].

وهذا أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) صاحب كتاب (تجارب الأمم) والذي عاد في فترة من حياته إلى دراسة الفلسفة والحكمة وتجارب الشعوب، فقد قرر في مقدمة مصنفه قائلا: "إني لما تصفحت

أخبار الأمم وسير الملوك، وقرأت أخبار البلدان وكتب التواريخ، وجدت فيها ما تستفاد منه تجربة لا تزال تتكرر مثلها ويُنتظر حدوث شبهها وشكلها، كذكر مبادئ الدول ونشوء الممالك، وذكر دخول الخلل فيها بعد ذلك، وتلافي من تلافاه وتداركه إلى أن عاد إلى أحسن حال، وإغفال من أغفله واطَّرحه إلى أن تأدى إلى الاضمحلال والزوال..."[١١].

ولما كان ابن مسكويه قد استفاد في نقوله عمن سبقه من المؤرخين المتقدمين وعلى رأسهم ابن جرير الطبري، وكان في تلك الكتب الكثير من الأوهام والأساطير مما لا يستساغ في العقل والمنطق والذوق بل لا تصلح تلك الأخبار إلا للمسامرة والتفكه مما لا ينتفع به، وقد حذفها ناقدا ومنقذا لكتابه منها وقال في هذا: "ووجدت هذا النمط من الأخبار مغمورا بالأخبار التي تجرى مجرى الأسمار والخرافات التي لا فائدة فيها غير استجلاب النوم بها، والاستمتاع بأنس المستطرف منها، حتى ضاع بينها، وتبدّد في أثنائها، فبطل الانتفاع به، ولم يتصل لسامعه وقارئه اتصالا يربط بعضه بعضا، بل تنسى النكتة منها قبل أن تجيء أختها، وتتفلّت من الذهن قبل أن تقيِّدها نظيرتها، ويشتغل الفكر بسياقة خبرها دون تحصيل فائدتها..."[١٢].

وهذا ابن حزم (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) كانت حياته الفكرية سجلا حافلا بألوان متعددة من الثقافات المتشعبة، ولم يكن ابن حزم من ذلك النوع الذي تستبد به فكرة، أو تحجبه عن الحقيقة موروثات فكرية، قد يكون بعضها في حاجة إلى نقد تاريخي وعقلي، بل إنه كان ثورة على هذا الاستسلام للسهل المشهور والموروث من الآراء والأفكار وبخاصة إذا اصطدمت هذه الموروثات بالأدلة العقلية الظاهرية التي يوحي بها النص الشرعي المعقول[١٣].

ويظهر ابن حزم في كتابه (الفصل بين الملل والنحل) مؤرخا ناقدا للفكر المذهبي وتاريخ الفرق حيث تبرز دقته في اختيار المعلومات وتوثيقها مما

يجعل كتابه موسوعة للفكر الديني قبل الإسلام وبعده [١٤]. ولعله من أوائل من نبّه إلى ضلالات العقول في التعامل مع الأرقام، وذلك عند نقده لما ورد في (التوراة) من أعداد بني إسرائيل الخارجين من مصر، القادرين على القتال . ولا سيما من كان ابن عشرين سنة فصاعدا . كانوا ستمائة الف مقاتل... فيقول: "فيا للناس كيف يمكن أن يتناسل من ولادة واحد وخمسين رجلا فقط في مدة مائتي عام وسبعة عشر عاما فقط أزيد من ألفي ألف إنسان هذا غاية المحال الممتنع.."[١٥].

وهذا القاضي الأندلسي أبو بكر بن العربي (ت٥٤٣هـ/١١٤٨م) في كتابه (العواصم من القواصم) جاءت كتابته محاولة جادة لتقديم بعض ملامح منهج النقد في البحث التاريخي، ورفض الاستسلام لحشود الروايات التاريخية. وهو يرفع صوته في ثنايا كتابه المذكور، وبأعلى نبرة، محذرا وداعيا إلى اتخاذ موقف نقدي إزاء معطيات الأقدمين التاريخية، ورفضها إذا اقتضى الأمر...[١٦]

وهو يقول: "إنما ذكرت لكم ذلك لتحترزوا من الخلق، وخاصة من المفسرين والمؤرخين، وأهل الآداب، فإنهم أهل جهالة بحرمات الدين، أو على بدعة مصرِّين، فلا تبالوا بما رووا، ولا تقبلوا رواية إلا عن أئمة الحديث.. فإنهم ينشئون أحاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم، واختراع الاسترسال في الأقوال و الأفعال عنهم، وخروج مقاصدهم عن الدين و الدنيا، وعن الحق و الهوى، فإذا قاطعتم أهل الباطل، واقتصرتم على رواية العدول، سلمتم من الحبائل.." [١٧] ويخلص إلى القول: "وقد بينت لكم أنكم لا تقبلون على أنفسكم في دينار، بل في درهم، إلا عدلا بريئا من التهم، سليما من الشهوة، فكيف تقبلون في أحوال السلف وما جرى بين الأوائل ممن ليس له مرتبة في الدين، فكيف في العدالة "[١٨].

وفي موضع آخر قال: "وانظروا إلى الأئمة الأخيار وفقهاء الأمصار،

هل أقبلوا على هذه الخرافات، وتكلموا في مثل هذا الحماقات؟ بل علموا أنها عصبيات جاهلية وحمية باطلة، ولا تفيد إلا قطع الحبل بين الخالق وتشتيت الشمل واختلاف الأهواء، وقد كان ما كان، وقال الأخباريون ما قالوا، فإما سكوت، وإما اقتداء بأهل العلم وطرح لسخافات المؤرخين والأدباء..."[١٩].

وابن العربي بمنهجه الصارم هذا يُقعد لمنهج جديد ينخل حشود الروايات التاريخية المتراكمة عن الفترات السابقة واختبارها اختبارا دقيقا وضرب بعضها ببعض، وإحالة معطياتها على مصادر معرفية أخرى.. ورفض أن يستسلم لتيارها الصاخب لكي يقدم صورة عن العصر [٢٠]قلّ أن تجدها في مصدر تاريخي آخر[٢١].

ويعد رأي عز الدين ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) من الطبري موقفا نقديا حين يوضح اعتماده عليه في القرون الثلاثة الأولى فيقول: "فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري إذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه والمرجوع عند الاختلاف إليه، فأخذت ما فيه من جميع، تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها، وقد ذكر هو في أكثر الحوادث روايات ذوات عدد كل رواية منها مثل التي قبلها أو أقل منها وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه فقصدت أتم الروايات فنقلتها وأضفت إليها من غيرها ما ليس فيها.."[٢٢].

أما عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير (٧٠١-٧٧٤هـ /١٣٠١-١٣٧٢م) في كتابه "البداية والنهاية" فنجده يقرن بين الجانب النظري والجانب التطبيقي معتمدا على تضلعه في علم الحديث رواية ودراية، ويقرن في كتابه بين نقد الأسانيد ونقد المتن معا، بل إننا نجده أحيانا يفند الخبر ثم يذكر له احتمال صدق وفق معطيات معينة، كما أنه ركَّز في نقده على الفترات الأولى من تاريخ الإسلام وما قبله أكثر من الفترات المتأخرة [٢٣].

وقد أفاض في نقد بعض الإسرائيليات والأساطير المتداولة عن الأمم

السابقة والمدونة في بعض التصانيف التاريخية والدينية لمخالفتها لصحيح المنقول وصريح المعقول، وقد كان يعرض كثيراً من تلك الخرافات والقصص لبيانها والردِّ عليها، كما يدل عليه قوله في كتابه "لولا أنها [أي الأساطير والإسرائيليات] مسطرة في كثير من كتب التفسير وغيرها من التواريخ وأيام الناس، لما تعرضنا لسقطاتها وركاكتها ومخالفتها للمعقول والمنقول" [٢٤].

وفي هذا السياق أيضا، يمكن أن نذكر ابن خلدون (ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م) الذي أرسى قواعد منهج نقدي متفرد، ولم يكن ذلك وليد فراغ من دون أن يكون للموروث الاجتماعي والفكري أي تأثير فيه[٢٥]، بل وليد الأصولية والعقلانية التي سادت بلاد المغرب في القرن الثامن الهجري، وفي فترة تفاعلت نخبها مع الموروث الفلسفي لمختلف تيارات الإسلام الوسيط كالمعتزلة في الشرق وتوجت بعد أمد طويل بفيلسوف في الغرب هو ابن رشد[٢٦].

وقد استطاع ابن خلدون أن يبلور منهجا نقديا خاصا بعد اطلاعه على تصانيف المؤرخين السابقين، وما تضمنته من أخطاء تحتاج إلى تصحيح، ومبالغات تحتاج إلى ضبط وتمحيص، وقد عبّر عن ذلك بقوله: "إنَّ فحولَ المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيَّامِ وجمعوها وسطروها في صحائف الدفاتِر، وأوعوها وخلطَها المتطفلونَ بدسائس من الباطلِ وهموا فيها وابتدعوهَا، وزخارف منَ الرواياتِ الضعيفة لفقرها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممَّن بعدهم واتبعوهَا وأدوها إلينا كما سمعوهَا، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوالِ ولم يراعوهَا، ولا رفضوا ترهات الأحاديثِ ولا دفعوهَا، فالتحقيق قليل، وطرف التنقيح –في الغالب– كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل.. والبصيرة تنقد الصحيح إذ تمقُل[٢٧]، والعلم يجلو لها صفحات القلوب ويصقُل... والناقد البصير قسطاس نفسهِ في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم...."[٢٨].

ويورد ابن خلدون الدوافع التي تقود إلى طرح الأكاذيب في الخبر التاريخي من أجل تشخيص مواطن العلة وتجنيب الباحثين قبول الأخطاء والأوهام، فيقول: "ولما كان الكذب متطرقا للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنّظر حتى يتبيّن صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيُّع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيُّع غطاء على حين بصيرتها عن الانتقا والتمحيص، فتقع في قبول الكذب ونقله.

ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضا: الثقة بالناقلين، وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد؛ فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه، فيقع في الكذب. ومنها: توهم الصدق وهو كثير، وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين. ومنها: الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يُداخلها من التلبيس والتصنُّع؛ فينقلها المخبر كما رآها، وهي بالتصنُّع على غير الحق في نفسه. ومنها: تقرُّب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة و المراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك، فتستفيض الأخبار بها على غير حقيقة، فالنفوس مولعة بحب الثناء، والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة، وليسوا على الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومنها: الجهل بطبائع الأحوال في العمران.. فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يَعرضُ..."[٢٩].

ويقرر ابن خلدون في مقدمته أن النظر في إمكان وقوع الحدث أهم من

التعديل ومقدما عليه من جهة عدالة الرواة وثقتهم، فالأهم هو إمكان وقوع الحدث أو استحالته، وذلك "أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران، ونُميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه، وما يكون عارضا لا يُعتدّ به. وما لا يمكن أن يعرض له، وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه، وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه، وكان ذلك لنا معيارا صحيحا يتحرّى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه "[٣٠].

والحق أن ابن خلدون "اعتمد في منهجه النقدي على قانون المطابقة المتمثل في الإمكان والاستحالة، بمعنى أن كل ممكن غير مستحيل يصحُّ إثباته تاريخيا، بل جعله هو المعيار على صدقية الخبر التاريخي البشري واستبعده في الخبر الشرعي كما سماه، إذ يتضمن تكاليف إنشائية من أوامر ونواه" [٣١]، فقال: "وسّع توسعا غير مرضي إلى حدٍّ ما . "ذلك أن نقد الأخبار عند المحدثين ليس محصورا في النظر في الإسناد من حيث العدالة و الضبط فقط، بل راعوا مع ذلك نقد الرواية من جهة الاتصال والانقطاع وكذا نقد المتن من جهة صوابه أو خطئه، وهم كذلك يعملون قانون المطابقة بالنظر فيما يجوز عقلا أن يكون مثله وما لا يجوز... وهذه الاستحالة قد تكون عقلية أو شرعية، ويشترط في كل ذلك أن تكون هذه الاستحالة قطعية أو تكاد.. فما قرّره العلامة ابن خلدون من حصر نقد الخبر الشرعي بالنظر في رواته جرحا وتعديلا غير مسلم به، لأن الأخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها الشرعية والفضائل والترغيب والترهيب...، وكذلك حصر نقد الخبر البشري بقانون المطابقة غير صحيح بإطلاقه كذلك، فكم من خبر مطابق لا يخالف عقلا لكنه غير صحيح، بل مكذوب ومزوَّر..."[٣٢].

وهؤلاء وغيرهم ممن ذكرنا وممن لم نذكر من المؤرخين والبلدانيين والرحالة والجغرافيين قد وضحوا مناهجهم في مقدمات تصانيفهم، أو في تضاعيفها، مما ندرك به أن منهج النقد غير طارئ على تراثنا العربي عامة وفي الدراسات التاريخية على وجه الخصوص.

ويكفي أن نشير أن مؤرخينا على مر العصور كانوا يستصحبون معهم منهج المحدثين ونقدهم للروايات على ما في منهجهم من صرامة واحتياط، وإن كان تطبيقه في الأعصر المتأخرة أصبح أمرا بالغ الصعوبة إلا أن المؤرخين ظلوا يتوسلون به لإثبات وثوق أخبارهم، وصحة مروياتهم رغبة منهم للوقوف على الحقائق وطلبا لحسن التوجيه لها. فقاموا بدراسة علل الرواية والأسانيد وما يحيط بها من أوهام وأغاليط وأطلقوا على ذلك عدة مصطلحات ومفاهيم سجلت فيما بعد في مصنفات تهتم بهذا الفن من النقد كمصطلح الحديث، والجرح والتعديل، والتراجم، وهذا سُمِّي لاحقاً بعلم الدراية. وبالنسبة إلى التراجم فقد تمت كتابة ترجمة مفصلة أو موجزة لكل راوٍ روى ولو حديثاً واحداً وبلغ ذلك مجلدات عدة وضخمة. بل إن المؤرخين أضافوا معايير جديدة إلى المعايير السابقة ولم يعودوا يتمسكون بنص الرواية بل يدونون عددا من الروايات التي تصب في معنى واحد، كما بدأ يختفي سند الرواية ويحل محله الإسناد الجمعي لموضوع واحد أو حادثة واحدة.

وقد أدهش هذا المستشرق الألماني ألويس شبرنغر في مقدمة تحقيقه لكتاب "الإصابة في أسماء الصحابة" لابن حجر عام ١٨٥٦ (الطبعة الهندية)، حيث قال: "إن مجد المؤلفات الإسلامية يكمن في كتب سير الرواة، فليس هناك أمَّة من الأمم السالفة، كما أنه لا يوجد الآن أمَّة من الأمم المعاصرة، أتت في علم أسماء الرجال بمثل ما جاء به المسلمون في هذا العلم العظيم الخطير، الذي يتناول أحوال خمسمئة ألف رجل وشؤونهم."

وبالنسبة إلى علماء الحديث فالاهتمام بالإسناد وروّاته كمصادر تاريخية كان الهدف منه معرفة ممن يوثق بكلامه ويتصف بشروط أداء الأحاديث ومعرفة الضابط والصادق من غيره، ولم يكن اهتماماً بذاته وإنما كان لمصلحة المتن ليكونوا أكثر اطمئنانا وقرباً إلى الحقيقة."[٣٣].

واليوم نجد أنه مع توفر العلوم المساعدة وتطور مناهج البحث التاريخي، ونضوج فلسفة التاريخ للتوغل أكثر في التاريخ، ومعاودة استكشاف حقائقه وقوانينه، وتوفر مهارات البحث في العلوم الانسانية عموما والتاريخ من بينها، فإن الاقتراب من الحقيقة التاريخية بات ممكنا ومتاحا.

والحق أني وجدت بعض الدراسات التي أشارت إلى هذا الموضوع وعالجت بعض نماذجه من مثل ما كتبه الدكتور فاروق عمر فوزي في كتابه: "نقد الرواية التاريخية عند المسلمين". أو ما كتبه عبد الكريم بكار في كتابه: التاريخ كيف نفهمه ؟ وكيف نستفيد منه ؟، أو ما كتبه حميد الهاشمي. في مقاله الموسوم بـ: التهويل و المبالغة في رواية التاريخ: حوادث بغداد أنموذجا... ولكن مقالنا هذا فيه من التوسع في النماذج، واختلاف في الطرح ما قد يكون إضافة محمودة للموضوع.

٣. مبالغات الأعداد في مصادر التاريخ الإسلامي (نماذج مختارة)

٣-١- جيش الروم في مؤتة!!

يكاد يجمع المؤرخون على أن غزوة مؤتة التي كانت في السنة الثامنة للهجرة، وكان عدد المقاتلين فيها من المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل، وعيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة أميرا عليه، فإن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب فعبد اللّه بن رواحة – رضي اللّه عنه– [٣٤] وانضم خالد ابن الوليد– رضي اللّه عنه– للجيش مشاركاً لأول مرة بعد إسلامه، وخرج

الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض أصحابه يودعون الجيش الزاحف، وهم يقولون: "صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين.."[٣٥].

وتحرك الجيش حتى وصل إلى "معان"[٣٦]، فبلغهم أن الكتائب الرومانية ومساندوها من غير الرومان تجمعوا في "مآب "[٣٧] من أرض البلقاء في جيش عظيم، بلغ مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلي مائة ألف[٣٨]، بدأوا يتدفقون في زهو وخيلاء وغرور على مؤتة حيث يرابط الجيش الإسلامي هناك، فنظر المسلمون فإذا هم وسط أمواج بحر عظيم ، وجيش الإسلام الصغير كأنه جزيرة صغيرة مهددة بالغرق في محيط ذلك البحر المتلاطم..

حقا لقد كانت الحالة (بالنسبة للمسلمين) حالة مخيفة مفزعة تثير الخوف والرعب وتزيغ العقول والأبصار. ولقد عبر أبو هريرة . وكان ممن حضروا معركة مؤتة . عن هذه الحقيقة المفزعة، يصف الموقف الحرج " فرأوا المشركين يعني المسلمين . ومعهم ما لا قبل لهم به من العدد والسلاح والكراع والديباج والحرير والذهب. قال أبو هريرة: وقد شهدت ذلك فبرق بصري، فقال ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة مالك؟ كأنك ترى جموعا كثيرة !!، قلت: نعم، قال: لم تشهدنا ببدر إننا لم نُنصر بالكثرة.

لقد كان بوسع الجيش الإسلامي الصغير أن يعودوا بالجيش إلى المدينة عندما تلقوا وهم في (معان) تقارير استخباراتهم العسكرية عن الحشود الرومانية الهائلة تلك، ولو عادوا أدراجهم لما كان عليهم من لوم.. ولكنهم . مع استطاعتهم التراجع دونما قتال . قرروا الاصطدام بالعدو مهما كلفهم ذلك من ثمن [٣٩].

والغريب أن كتاب السيرة المتقدمين أوردوا رواية عدد جيش الروم ومن حالفهم من القبائل العربية وهم مجمعون على أنه بلغ (مائتي ألف)!!، وحتى

كتاب السيرة المعاصرين نقلوا الخبر دون نقد أو تمحيص للعدد المذكور!!، فكيف يعقل أن يتم تجهيز جيش بهذا العدد في تلك الفترة المتقدمة، وفي تلك الظروف؟! وما يملكونه من وسائل بسيطة في الإطعام والإمداد والإدارة والتنظيم؟؟!!، مع جغرافية المنطقة، وحسابات مساحة أرض المعركة.. وهو أمر مكلف للغاية، ولا تقوم به دولة إلا عند الحاجة، والحاجة منفية، حيث إنه من غير المعتاد أن يتم حشد سبعين رجلا لقتال رجل واحد، أضف إلى هذا أن نجاة ثلاثة آلاف من براثن مائتي ألف من خلال انسحاب ذكي، ولا يقتل منهم سوى بضعة عشر رجلا أمر مستغرب وصعب التصديق !!![٤٠].

٣-٢- مليونية في اليرموك !!

بعدما تكبدت الدولة البيزنطية (الرومية) خسائر في معاركها مع المسلمين في أجنادين وبصرى وبعلبك وحمص ودمشق والبلقاء وأجزاء من فلسطين لم يكن أمام قائدهم هرقل إلا أن يحشد جيوشه لمعركة فاصلة تعيد له هيبته وترد له ما اقتطع من مستعمراته، وانطلقت الحشود من أنطاكيا صوب جنوبي بلاد الشام، في حين كانت قوات المسلمين تجمع حشودها أيضا؛ فأبو عبيدة بن الجراح في حمص، وخالد بن الوليد بقواته في دمشق، وشرحبيل بن حسنة مقيم في الأردن، وعمرو بن العاص في فلسطين. وتجمعت قواتهم جميعا منسحبة من المدن التي فتحتها إلى بادية الشام في منطقة اليرموك طالبين المدد من الخليفة عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . في المدينة.

وكانت معركة اليرموك معركة فاصلة ومحاولة يائسة من البيزنطيين للدفاع عن الشام واسترداد ما فتحه المسلمون، ولهذا حشدوا لها كل إمكاناتهم العسكرية والبشرية، وقد اختلفت الروايات التاريخية حول عدد جيش الروم في معركة اليرموك، فمنهم من قال: إنه في حدود مائة وأربعين ألفا، ولكن الواقدي واليافعي وغيرهما ذهبوا إلى أن "جملة من بعث الملك هرقل إلى اليرموك من

العساكر ستمائة ألف فارس من سائر طوائف أهل الكفر ممن يعتقد الصليب قال: وحدثنا جرير بن عبد الله عن يونس بن عبد الأعلى أن جملة من بعث الملك هرقل سوى جيش انطاكية إلى اليرموك سبعمائة ألف فارس قال راشد بن سعيد الحميري كنت أحضر اليرموك من أوله إلى آخره فلما أشرفت علينا عساكر الروم باليرموك نحونا صعدت على محل من الأرض مرتفع وأقبلت الروم بالرايات والصلبان فعددت عشرين راية، فلما استقرت الروم باليرموك بعث الأمير أبو عبيدة رضي الله عنه روماس صاحب بصرى ليحزر عدد القوم، قال: فتنكر روماس وغاب عنا يوما وليلة ثم عاد إلينا فلما رأيناه اجتمعنا عنده وسأل أبو عبيدة روماس عن ذلك، فقال: أيها الأمير سمعت القوم يذكرون أن عددهم ألف ألف..."[٤١]. أي مليون!!، في حين أن عدد المسلمين أربعون ألفا وقيل خمسون ألفا!![٤٢] فكيف يعقل أن يحتشد مليون من المقاتلين في صعيد واحد، مقابل أربعين أو خمسين ألفا فقط، ويستطيع هذا العدد أن يخترق المليون من مقاتلة العدو ويحول بين مشاة الروم وفرسانهم مما جعل خيولهم تشتد بهم في الصحراء تاركين ميدان القتال، وتتبعهم خالد بن الوليد في الجبال والأودية، وخيول المسلمين من ورائهم يقتلون ويأسرون...[٤٣]

إن خداع الرقم واضح فيما يورده الإخباريون من روايات لا تتعرض لأدنى نقد أو تمحيص، ودون حساب النسبة و التناسب بين أعداد الجيشين، والحق أن تضخيم أعداد جيوش الأعداء تجعلك تشعر بالقوة والعظمة والشجاعة حين تنتصر عليهم، وتشعر بالعزاء والإعذار حين يتغلبون عليك، لكن ذلك يضل خارج الموضوعية وبعيدا عن حقائق التاريخ التي ينبغي أن يحرص المؤرخ على إيصالها دون تزيد أو نقصان[٤٤]. إذ كيف يجتمع لهرقل مليونا من البشر يقاتلون معه؟ مع الكثافة السكانية المتدنية في تلك الأزمنة؟! واليوم نرى أن أقوى جيش في العالم هو الجيش الأمريكي عدده جنوده يزيد على المليون جندي بقليل !!.

٣-٣- قتلى الجمل وصفين !!

بعد مقتل الخليفة عثمان رضي الله عنه وحدوث الصدمة التي لم يكن يتوقعها المسلمون وذهولهم لما أصابهم وبقاؤهم في المدينة دون خليفة مدة خمسة أيام وأميرهم الغافقي بن حرب[٤٥]، ولم يكن أولى بالخلافة من علي رضي الله عنه، لمكانته وفضله وإمكانياته، وتحت ضغط الظروف التي أحاطت بالمسلمين وحرصا على وحدة الأمة قبل علي رضي الله بالبيعة شرط أن تكون برضا المسلمين، وبيعة البدريين ومن بقي من المهاجرين والأنصار.. ولما طُلب من معاوية رضي الله عنه البيعة وهو بالشام واليا عليها، رفض البيعة قبل أن يتم القصاص من قتلة عثمان أو يُخلي بينه وبينهم ليقتص منهم بعيدا عن الخليفة، فرفض علي رضي الله عنه، واعتبر ذلك عصيانا من معاوية وتمردا على الخليفة، فعزله وأرسل سهل بن حنيف واليا جديدا على الشام فرفضه أهل الشام وردوه إلى المدينة.

وقرَّر علي رضي الله أن يغزو معاوية في الشام، وهو يستعد للخروج وجد أن فريقا آخر يقوده طلحة و الزبير وعائشة رضي الله عنهم، توجهوا إلى البصرة للقصاص من قتلة عثمان والإصلاح بين المسلمين، ففوجئ علي بهذا التحرك وقرر المسير إلى البصرة بدلا من المسير إلى الشام، ووصل الجميع إلى البصرة وعسكروا خارجها وجرت بين الطرفين مفاوضات ومحاولات للتسكين والتهدئة و الصلح بين الجميع إلا أن ذلك كان وبالا على أهل الفتنة فخافوا على أنفسهم وباتوا بشر ليلة، فاجتمعوا بإمرة عبد الله ابن سبأ (ابن السوداء) الذي قال لهم إن "عزَّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غدا فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر"[٤٦]، وتسللوا إلى المعسكرين ونشبت النبال من الطرفين وظن كل واحد منهما أن صاحبه خانه فاشتعل القتال، والتقى

المسلمون مع بعضهم بالسيوف لأول مرة، و حاول علي رضي الله عنه تهدئة الوضع، وحاول العقلاء من الطرفين أن يستحر القتل بين الصحابة فنادوا فيهم " يا أيها الناس طرفوا"[٤٧] اي تجنبوا القتل وابتعدوا إلى الأطراف أو عليكم بالأيدي والأرجل فقط، واشتد القتال للدفاع عن عائشة رضي الله عنها وهي في هودجها على الجمل، ويروى أن عليا رضي الله عنه نادى: "اعقروا الجمل فإنه إن عقر تفرقوا"[٤٨].

وكم ورد في هذه الوقعة التي أوقدتها السبئية من مبالغات في عدد القتلى، وتزوير متعمد في تضخيمها، حيث يذكر خليفة بن خياط أن عدد القتلى "بلغ عشرين ألفا"[٤٩] وفي الرواية إسنادان ضعيفان أحدهما فيه انقطاع والآخر فيه مجاهيل[٥٠].

والواقع أن عدد القتلى أقل بكثير من هذا العدد، فإنه لم يخرج مع علي رضي الله عنه من المدينة إلا حوالي سبعمائة رجل حيث تثاقل عنه عدد من كبار الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وأبو مسعود الأنصاري ومحمد بن مسلمة وغيرهم ممن رأوا أنها أحداث فتنة ينبغي عدم الخوض فيها[٥١]. وتشير الروايات بسند صحيح مع تعاضد طرقها إلى أنه بعد استنفار أهل الكوفة لنصرة الخليفة الشرعي التحق بجيش علي رضي الله عنه ما بين الستة آلاف إلى السبعة آلاف رجل بذي قار ورجال من البصرة وقبائل أخرى حتى بلغ العدد اثنا عشر ألفا[٥٢]، وكان جيش عائشة قريبا من ذلك، ولم يدم القتال إلا يوما واحدا ومدة الحرب لم تتجاوز أربع ساعات!!، فكيف يكون عدد القتلى عشرين ألفا؟!.

ولعل من أسباب المبالغة في عدد القتلى في هذه الواقعة، ما يلى:

١ – رغبة أعداء الصحابة من السبئية في توسيع دائرة الخلاف بين أبناء الأمة الذين يجمعهم حب الصحابة والاقتداء بهم بعد رسول الله ﷺ.

٢ – تصوير السبئية بأنهم دهاة وأذكياء والصحابة تبع وغوغاء انطلت عليهم الحيل وصاروا أدوات تنفيذ في يد أعدائهم.

٣ – تعصب كل راو لقبيلته بتضخيم عدد القتلى سواء عدد القتلى من قبيلته شكوى وضراعة أو تضخيم عدد القتلى من خصومه انتشاء وانتصارا..!!

٤ – تضخيم أعداد القتلى من قبل القصاصين والإخباريين لرغبتهم في شحن أخبارهم بما يثير الحماس و الحمية ويعطي للأخبار جاذبية ورونقا يجمع الناس حولهم.

ولكن مع كل هذا التهويل في عدد القتلى يوم الجمل فإن الخسائر كانت محدودة وذلك لعدة أسباب منها:

١ – عدم وجود قضية توجب القتال بين الطرفين وتولد الحماس في نفوس المتقاتلين ولا سيما بعد الاتفاق التام على الصلح.

٢ – تحرُّج كل من الفريقين عن القتال، وذلك لعلم الجميع بحرمة الدم المسلم وتوعد الله على المجترئين، عليه قال تعالى: مَن قَتَلَ نَفسَا بِغَيرِ نَفسٍ أَو فَسَاد فِي ٱلأَرضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعا (المائدة:٣٢) وقال تعالى: وَمَن يَقتُل مُؤمِنا مُّتَعَمِّدا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيما (النساء: ٩٣). بل إن الندم تملك القادة خلال القتال، قال الحسن بن علي يصور الحالة النفسية لعلي رضي الله عنه: "لقد رأيته حين اشتد القتال يلوذ بي ويقول يا حسن لوددت أني متُّ قبل هذا بعشرين حجة . أو سنة ."[٥٣]. وهذه عائشة رضي الله عنها تقول: "وددت لو أني كنت غصنا رطبا ولم أسر مسيري هذا"[٥٤].

٣ . تشديد قادة الفريقين على النهي عن القتال وتأكيدهم على أن هدفهم من مسيرهم ذلك هو الإصلاح بين الناس وتوحيد صف المسلمين. ولم يكن أحد يتوقع أنه سوف يقع قتال بين الطرفين، ومما يدل على ذلك أنّ عبد الرّحمن

ابن أبي بكر بن أبي قحافة، أخا عائشة . رضي الله عنها .، شَهِدَ الجمل مع عائشة وأخوه محمَّد مع عليٍّ بن أبي طالب . رضي الله عنه .. قال الحافظ: " عبد الرّحمن بن عبد الله وأمّه أم رومان والدة عائشة ... شهد وقعة الجمل مع عائشة، وأخوه محمّد مع عليّ رضي الله عنه"[٥٥].

٤ . إن الفريقين كانوا من قبائل واحدة انقسمت سكناها بين الكوفة والبصرة وكان عامة الناس يعرف بعضهم بعضا، "فنزلتِ القبائل إلى قبائلهم؛ مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكّون في الصُّلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصُّلح"[٥٦].

٥ . تكافؤ الفريقين في القدرات القتالية، وفي التسليح والتدريب. فكيف يقتل حول الجمل فقط عشرة آلاف نصفهم من جيش علي ونصفهم من جيش عائشة؟؟!!، كما يروي سيف بن عمر التميمي!! [٥٧] وهل يعقل أن يلتف حول جمل مثل هذا العدد؟! ولو كانت الأسلحة نارية بمدافع تقصف، وصواريخ تنزل، وقنابل تنفجر.. لما قتل مثل هذا العدد !!.

٦ . الفترة الزمنية . كما ذكرنا آنفا . كانت قصيرة لم تتجاوز أربع ساعات في يوم واحد، فكيف يقتل هذا العدد ؟ بل إن منطق الأشياء، وحساب الجنود من الطرفين مع السلاح المستخدم، ومع ملابسات الحدث ومعطياته تفيد أن عدد القتلى لم يتجاوز بضع مئات من الطرفين على الأكثر[٥٨].

وإذا كان شهداء اليرموك حوالي ثلاثة آلاف شهيد، وشهداء القادسية حوالي ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد، وهما المعركتان اللتان حسمتا الوجود الفارسي في العراق العربي، والوجود الروماني في بلاد الشام، وكان الإعداد والعدة فيهما أكثر بكثير، ووقتهما أطول والعدو فيهما أشرس ودوافع القتال ئيهما أعمق وأوسع من خلاف طارئ بين إخوة في الدين والعقيدة، ومع كل هذه

الأسباب فإن روايات السبئية عن موقعة الجمل تجعل القتلى فيها أضعاف شهداء المسلمين في تلك المعارك الفاصلة[٥٩].

والغريب أن خليفة بن خياط أورد عدد القتلى" ما بين عشرين ألفا إلى ألفين وخمسمائة"[٦٠]، ولكنه لم يستطع أن يحصي منهم فيما أورده من أسمائهم سوى "مائة وسبعة رجال" منهم سبعة وأربعون بأسمائهم، وثم قال: "وقتل من طاحية ثلاثون رجلا... وقتل من الجهاضم ثلاثون رجلا" [٦١]. ولو كانت هذه الأرقام صحيحة عن عدد القتلى لاستطاع الرواة إحصاء المئات أو الألوف منهم بدل العشرات !!.[٦٢]

أما يوم **صفين (٣٧هـ/٦٥٧م)** فإن عامة تفاصيله رواها الإمام الطبري في تاريخه ونقل عنه ابن الأثير في الكامل وابن كثير في البداية والنهاية وهي أكثرها أخبار رويت عن **أبي مخنف لوط بن يحي** الذي قال عنه أبو حاتم: "متروك. وقال الدارقطني: أخباري ضعيف، وقال ابن عدي: شيعي محترق صاحب أخبارهم، وقال الذَّهبي: ساقط، وقال أيضًا: أخباري تالف لا يوثق به"[٦٣]. ومن يستسلم لرواياته يقع في الخلط والغلط، وقد يجازف في النقل و الكذب عن الأصحاب.

وما يقال من خداع الرقم في عدد القتلى في هذه الواقعة هو امتداد للتزييف الذي حصل في معركة الجمل، وتذكر الروايات بسند صحيح أن جيش علي رضي الله عنه كان خمسين ألفا، وأن جيش معاوية كان في سبعين ألفا[٦٤]، فكيف يذكر المسعودي أن عدد القتلى في صفين كان تسعين ألفا ؟!![٦٥]، فجميع الجيش مائة وعشرون ألفا وعدد القتلى تسعون ألفا !!!، ولو أن القتل كان بالسلاح الكيماوي لما قتل هذا العدد في يوم واحد استحرّ فيه القتل، والأيام الأخرى كانت مبارزات بين الفرسان بين طرفي النهار. طيلة الأسبوع الأول من شهر محرم من السنة ٣٧هـ!! وكان الأمل في الصلح أكبر من الرغبة في

الحرب، بل إن بعضهم صرّح بتركه القتال وانسحب من أرض المعركة، فهذا أبو العالية الرفاعي . شاهد عيان ثقة (ت ٩٠هـ/٧٠٨م) يصف المعركة بقوله: "لما كان زمن علي عليه السلام ومعاوية، وإني لشاب القتال أحبّ إلي من الطعام الطيب، فتجهزت بجهاز حسن حتى أتيتهم فإذا صفان لا يرى طرفاهما إذا كبر هؤلاء كبر هؤلاء وإذا هلل هؤلاء هلل هؤلاء، قال: فراجعت نفسي فقلت: أى الفريقين أنزله كافرا، وأي الفريقين أنزله مؤمنا؟ أومن أكرهنى على هذا؟ فما أمسيت حتى رجعت وتركتهم.."[٦٦].

ولم ينفرد أبو العالية بالتردد ثم التوقف عن القتال، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص يقف بجنب أبيه يحمل الراية مع الشاميين، ثم يتراجع ويقول: "مالي ولصفين ومالي ولقتال المسلمين!!، لوددت أني مت قبله بعشرين سنة، أما والله أني على ذلك ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم"[٦٧].

بل إن بعض الروايات تذكر أنه لم يكن بين الجيشين أحقاد بل كان كل طرف ينافح ما يعتقده حقا، فلا غرابة إذا قال شاهد عيان هو عبد الرحمن السلمي: "وكنا إذا تواعدنا [٦٨] دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، وهؤلاء في عسكر هؤلاء"[٦٩].

وليس هؤلاء من انسحبوا من المعركة فحسب بل إن المعلوم من أصح الأسانيد أنَّ جلة من الصحابة اعتزلوا الفتنة من مثل ما روي عن محمد بن سيرين قال: "هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين"[٧٠].

إن هذه المرويات وغيرها مما لا يتسع المقال لذكرها والتوسع فيها دليل على أن أعداد القتلى الواردة في مصنفات التاريخ والتي ينقل بعضها عن بعض دون تثبت هي من خداع الرقم وغلط الرواة..

٣-٤- المبالغة في التقبيح:

عندما ننكر على من يبالغ في التحسين وإظهار المناقب والدفاع على من لا يستحق الدفاع فإننا ننكر أيضا على من يبالغ في إظهار المثالب والمعايب وتتبع السقطات والعثرات، وتضخيمها من حيث هي صغيرة، وتهويلها من حيث هي هينة.

ومثال ذلك ما تواردت به الأخبار عن شخصية الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ - ٩٥ هـ/٦٦٠ - ٧١٤ م) الذي وصفه خصومه بكل نقيصة، وجردوه من كل فضيلة، وتتبعوا عثراته وهو الذي أراد أن يثبّت حكم الدولة في عصر الفتن والثورات، ويضرب على يد الخارجين عليها، ومن أرادوا شق عصا الطاعة وتربصوا بالخلافة الدوائر... وقد سعى جهده "فأدب العصاة وأذل العتاة ووطد أمور المملكة ونشر الأمن، وهل ينجح الساسة بغير هذا؟.. لهذا كله نسجوا حول الحجاج القصص الشائن، وافتروا عليه وعلى قبيلته شتى المفتريات، بل وصل بهم البغض والكراهية إلى أن يختلقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث في شأنه وشأن قبيلته... وإن بعض الذين عابوا الحجاج ثم وُلوا شيئا من أمور الدولة لم يستطيعوا إلا السير على طريقته."[٧١]

ومما ذكر في رصد سيئات الحجاج و المبالغة في تقبيح أفعاله ما ذكره الإمام القرطبي في تفسيره، وما رواه عن بعضهم أنه قال: "كنت واقفا على رأس الحجاج حين أتي بالأسرى من أصحاب عبد الرحمن بن الأشعث وهم أربعة آلاف وثمانمائة فقتل منهم نحوا من ثلاثة آلاف حتى قدم إليه رجل من كندة فقال: يا حجاج، لا جازاك الله عن السنة والكرم خيرا! قال: ولم ذلك؟ قال: لأن الله تعالى قال: "**فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا**" **(سورة محمد: ٤)** في حق الذين كفروا، فوالله! ما مننت ولا فديت؟ وقد قال شاعركم فيما

وصف به قومه من مكارم الأخلاق:

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم ... إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فقال الحجاج: أف لهذه الجيف! أما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام!؟ خلوا سبيل من بقي. فخلي يومئذ عن بقية الأسرى، وهم زهاء ألفين، بقول ذلك الرجل»[٧٢].

فهل يعقل أن يقتل الحجاج ثلاثة آلاف رجل وأكثرهم من العلماء، دون أن يثير ذلك في دار الاسلام وفي ظل حكم الدولة الأموية وخليفها يومئذ عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ/٦٨٤-٧٠٥م) المؤسس الثاني للدولة الأموية والذي اشتهر بالعلم والفقه والعبادة، وكان يعد من فقهاء المدينة الأربعة، قال الأعمش: "فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة ابن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان" [٧٣].

وبالرغم من أن عبد الملك بن مروان نجح بالحجاج وأمثاله في تهدئة الأحوال والقضاء على الفتن، فإنه لم ينجح في كسب القلوب للفرع الأموي الجديد، وكان معاوية أكثر حصافة منه بحلمه وسعة صدره.. ولو لم تتطور الأمور في عهد يزيد على نحو مختلف لربما تغيرت مسيرة التاريخ![٧٤]، والحجاج لا يمكن أن يقوم بهذه المجزرة في العلماء دون رادع من الخليفة أو الأمة التي ترى في العلماء ملاذها وعصمتها وورثة الأنبياء فيها، وكيف يقتل مثل هذا العدد الرهيب والمبالغ فيه بدون شك، دون أن نسمع أو نقرأ احتجاجا من العلماء في تلك الفترة، أو تتواتر هذه الرواية في المصادر التاريخية المعتمدة؟![٧٥].

بل إن التابعي الجليل سعيد بن جبير بن هشام الأسدي لما تعاطف مع ثورة عبد الرحمن بن الأشعث المنشق عن الأمويين، وقام الحجاج بقتله، لم يعش بعده إلا ست عشرة ليلة مرض خلالها وظل يردد: "ما لي ولسعيد بن

جبير، كلما أردت النوم أخذ برجلي، ثم يأخذ بمجمع ثوبي، ويقول لي: يا عدو الله فيم قتلتني؟ فيستيقظ الحجاج مذعورا وهو يقول: مالي ولسعيد بن جبير؟"[٧٦]. وكان ذلك في سنة (٩٤هـ/٧١٢م).

بل إن الحجاج عندما أسرف في قتل أسارى دير الجماجم وإعطاء الأموال، بلغ ذلك عبد الملك فكتب إليه: أما بعد، "فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذير الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك في الدماء في الخطأ بالدية وفي العمد بالقود وفي الأموال بردها إلى موضعها ثم العمل فيها برأيه، وإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل، فإن كنت أردت الناس لك فما أغناهم عنك وإن كنت أردتهم لنفسك فما أغناك عنهم، وسيأتيك من أمير المؤمنين لين وشدة، فلا يؤنسنك إلا الطاعة ولا يوحشنك إلا المعصية، وظن بأمير المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ، وإذا أعطاك الله الظفر بقوم فلا تقتلن جانحاً ولا أسيراً؛ وكتب في أسفل كتابه:

إذا أنت لم تترك أموراً كرهتها ... طلبت رضاي بالذي أنت طالبه
وتخشى الذي يخشاه مثلك هارباً ... إلي فها قد ضيع الدر حالبه
وإن تر مني وثبة أموية ... فهذا وهذا كله أنا صاحبه
فلا تأمنني والحوادث جمة ... فإنك مجزى بالذي أنت كاسبه
ولا تعد ما يأتيك مني وإن تعد ... يقوم بها يوم عليك نوادبه

ولا ترفعن للناس حقاً علمته ... ولا تغضبن، فاللين للناس جانبه "، فأجابه الحجاج: "أما بعد، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري للأموال، ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله وما قضيت في أهل الطاعة ما استحقوه، فإن كان قتلي أولئك العصاة سرفاً

وإعطائي أولئك المطيعين تبذيراً فليسوغني أمير المؤمنين ما سلف وليحد لي حدًا أنتهي إليه إن شاء الله تعالى، ولا قوة إلا بالله، والله ما سلبت نعمة إلا بكفرها ولا تمت إلا بشكرها، ولا أصبت القوم خطأ فأديهم ولا ظلمتهم فأقاد بهم، ولا أعطيت إلا لك ولا قتلت إلا فيك، وأما ما أتاني من أمريك فأبينهما عزة أعظمها محنة»[٧٧].

فكيف يسمح عبد الملك بن مروان في قتل ثلاثة آلاف أكثرهم من العلماء؟!!، إنه التحامل الذي يحمل أحقاد العصر، ونوازع الناس، وأوهام الأرقام، وكذب الرواة..!!.

والحق أن الحجاج لم يكن قاصدا أن يسفك الدماء هدرا إنما كان يقصد بقتل زعماء الفتنة إخماد الفتنة بإرهاب أتباعهم، وعلى ذلك فالأرقام التي تزدحم بها بعض النصوص عمن سفك الحجاج دماءهم غير مستساغة ولا مقبولة عقلا بغض النظر عن أسانيد الروايات وصحتها، بل إن عدد المقاتلة من أهل العراق ما كان يتجاوز في عهد عبيد بن زياد أكثر من مائتي ألف مقاتل، وعدد جيش ابن الأشعث ما كان يبلغ مثل هذا الرقم، وقد ورد أنه أعطى الأمان لذلك الجيش، فارتد منه قسم كبير إليه...[٧٨].

ويكفي أن نذكر من مؤرخي العصر العباسي ممن تحاملوا على بني أمية وخلفائهم وأمرائهم وولاتهم المؤرخ مطهر بن طاهر المقدسي (ت٣٥٥هـ/٩٦٦م) الذي وصف الحجاج في كتابه "البدء والتاريخ" قائلا: "وكان قتل من الأشراف والرؤساء المذكورين مائة ألف وعشرين ألفاً صبراً سوى عوام الناس ومن قتل في معارك الحروب وكان مات في حبسه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة.."[٧٩]. والغريب أن حسين مروة صاحب كتاب (النزعات المادية في الفلسفة الفلسفة العربية الإسلامية) من خلال هذه الرواية وغيرها من مبالغات الرواة في أعداد قتلى الحجاج قال: وكانت استراتيجيته أن يأخذ أهل العراق جميعا

بالإرهاب الدموي دون تمييز، فقد كان حكمه أشبه بما نسميه في عصرنا بالحكم العرفي، أو نظام الطوارئ، فكل مواطن مذنب حتى تثبت براءته، ولكن لم تكن تثبت براءة أحد منهم قط، وكان الإعدام هو العقاب المفضَّل عند الحجاج، حتى قيل إن عدد الجلادين لم يكن يكفي لإعدام العدد الكثير من الناس، وأن من أعدموا بلغوا ١٣٠ ألف نسمة"[٨٠].

ويمكن أن نتساءل كيف يستقر له الحكم عشرين عاما في الحجاز والعراق إذا كان هذا العدد المهول من القتلى هم من ضحاياه ؟! وإذا حسبنا متوسط الأسرة خمسة أفراد، وعلمنا أن من كان ضد حكمه في العراق مليونا وخمسين ألفاً دونما ذكر القرابة والقبيلة والعصبية، فكم كان سكان العراق في حينه؟... وكيف نصدق هذه الأرقام على علاتها وهذا شبيب بن يزيد الخارجي وزوجته غزالة تدخل الكوفة بأقل من عشرين فارسا فيخافها الحجاج، ويتحصَّن في قصره، ولا يجرؤ على الخروج إلا بعد رحيل شبيب وزوجته..[٨١] فعيَّر بعضهم الحجاج بقوله:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر[٨٢]

ومن الإنصاف أن يسجل المؤرخ لمن يؤرخ له ما أصاب فيه بمثل ما يسجل عليه ما أخطأ فيه. وأعتقد أن كثيرا من الدراسات وخاصة الاستشراقية منها التي تناولت شخصية الحجاج بما يثير السخط عليها تصويرا منهم لعصر الأمويين على أنه عصر اضطهاد وسفك دماء لكل معارض لهم أو منتقد لسياستهم، مع غض الطرف عن كل مفاخرهم وإنجازاتهم في الفتح والنظم و الفنون و العمران و الثقافة.[٨٣]

٣-٥- مجازر "هولاكو" ووَهمُ العدد!!

لا شك أن سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) كان حدثا مروعا في العالم الإسلامي كما كان سقوط روما عام ٤٧٦م مروعا في أوربا، ولعل الأوضاع التي سادت بلاد المسلمين يومها من انقسامات وصراعات سياسية ومذهبية وطائفية هي التي مهدت للغزو المغولي وساعدت على اقتحام الجيوش المغولية بغداد دون أن يواجهوا بمقاومة باسلة تصدهم عن حاضرة الخلافة وعاصمة الحضارة الإسلامية الزاهرة..

ولا يهمنا في هذا المقال سرد الأحداث التي جرت قبل دخول المغول بغداد وحصارهم لها وتعاونهم مع الطابور الخامس فيها، مع ما كان عليه الخليفة العباسي المستعصم بالله (٦٠٩ -٦٥٦هـ/١٢١٣-١٢٥٨م) من تخاذل وجبن وخور، ورفضه المقاومة، واستسلامه للغزاة الدمويين السفاحين!!.

ومصادر التاريخ الاسلامي تتحدث عن وقائع مروعة حين دخول التتار بغداد وعددهم اثنا عشر ألف جندي وما أوقعوه بأهلها من القتل وسفك الدماء وهدم العمران وحرق المكتبات ونهب الثروات، وقتل أئمة المساجد وحملة القرآن وتعطلت المدارس والربط، [٨٤] وهذا مما لا شك فيه ولا مراء، ولكن المبالغة في إيراد عدد القتلى هو ما يمكننا التساؤل عنه، والنظر إليه بعين الاستغراب!!

وطبقا للمتوفر من المرويات التاريخية وهي . على الأغلب . لا تعكس الوقائع بتفاصيلها الدقيقة لأن معظم المؤرخين لم يكونوا شهود عيان، كما أن التحيز أحيانا قد يدفعهم إلى تقديم روايات متناقضة أو مجتزأة، كما أن ما رافق سقوط بغداد من الأهوال المرعبة مما اتفق المؤرخون على بشاعته كان معينا على المبالغة في تقدير حجم التخريب في المدينة والقتل لأهلها، وثمة . قبل هذا كله . مشكلة غياب العديد من المصنفات والمرويات، حيث يجد الباحث نفسه

أحيانا قبالة مبدأ: أن ما وصلنا عن الماضي هو أقل مما لم يصلنا[٨٥].

ولحسن الحظ فإن ما يمكن اعتباره وجهة النظر شبه الرسمية للمغول قد وصلتنا بمرويات المؤرخ رشيد الدين فضل الله الهمذاني (ت٧١٨هـ/١٣١٨م) في مصنفه المعروف بـ (جامع التواريخ) الذي كتبه باللغة الفارسية وتمت ترجمته إلى العربية[٨٦] وهذا سيساعد إلى حد كبير على اختبار وضبط مرويات الطرف الآخر على رأسه المؤرخ الكبير كمال الدين ابن الفوطي (٦٤٢ – ٧٢٣هـ/١٢٤٤–١٣٢٣م) في مصنفه (الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة)[٨٧]. بمعنى أن المرويات التي ستتطابق أو تتقارب بين الطرفين ستكسب قدرا من المصداقية[٨٨].

وبعض الروايات التاريخية التي تتحدث عن سقوط بغداد تشير إلى أرقام محددة، وبعضها يكتفي بالتعميم. ويمكننا أن نستوعب أن العدد الكبير من القتلى كان في الجهة الشرقية من بغداد حيث انهارت الدفاعات، وتهاوت الحصون، وحاولت بعض جيوب المقاتلين من أهل بغداد أن تواجه التتار في منطقة الأنبار في التاسع عشر من محرم من (سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) بقيادة مجاهد الدين أيبك ولكنها فشلت في المقاومة وعادت إلى داخل بغداد، واستدرج هولاكو الخليفة المستعصم نفسه وأغراه بمحاولة إقناع سكان بغداد بوضع أسلحتهم و الخروج لغرض الإحصاء!! " فأرسل الخليفة من ينادي في المدينة ليضع الناس أسلحتهم ويخرجوا، فألقى هؤلاء أسلحتهم زمرا زمرا، وصاروا يخرجون، فكان المغول يقتلونهم.."[٨٩]. وأظهر هولاكو حمايته للخليفة وأهله واتباعه فأمر أن تقام لهم الخيام وعهد للمغول بحراستهم، وبدأ مذبحة مروعة، أحرقوا فيها الأخضر و اليابس[٩٠].

ويقول ابن الفوطي: "ووضع السيف في أهل بغداد يوم الاثنين الخامس من صفر وما زالوا في قتل ونهب وتعذيب الناس بأنواع العذاب واستخراج

الأموال منهم بأليم العقاب مدة أربعين يوما، فقتلوا الرجال والنساء والصبيان والأطفال فلم يبق من أهل البلد ومن التجأ إليهم من أهل السواد إلا القليل، ما عدا النصارى الذين نجوا رعاية (لطقز خاتون) . زوجة هولاكو النصرانية، بل عين لهم حراسا من المغول حرسوا بيوتهم فالتجأ إليهم خلق كثير من المسلمين فسلموا عندهم. كما سلم جماعة من التجار كانت لهم علاقة مع المغول، وكذلك دار الوزير مؤيد الدين بن العلقمي، فإنه سلم بها خلق كثير. وكذلك دار صاحب الديوان ابن الدامغاني ودار صاحب الباب ابن الدوامي[٩١].

يقول ابن كثير في عدد من قتل حين دخول التتار إلى بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م): "قد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة، فقيل ثمانمائة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف نفس، (أي ١,٨٠٠,٠٠٠) و قيل بلغت ألفي ألف نفس،(٢,٠٠٠,٠٠٠) وثمانمائة ألف وثلاثين ألف إنسان فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم."

وكيف يموت هذا العدد المليوني من البشر في حين تذكر الروايات أن المغول وهم يرمون بالمجنيقات لم يجدوا الحجارة الكافية في أطراف بغداد، فكانوا يأتون بها من جبل الحمرين وجلولاء، وكانوا يقطعون النخيل ويرمون بقطعها بدلا من الحجارة!!، وهل قطع النخيل تقتل كل هذه الألوف من الناس؟!!

وهل كان هناك إحصاء لسكان بغداد في تلك الفترة؟!، وعلى الأرجح أنها تقديرات تعتمد التخمين وحدس الأشخاص المعنيين بتقدير الساكنة لأغراض عسكرية وجبائية في غالب الأحيان، لأنه من غير المعقول أن تتوفر الإدارة العباسية في تلك الفترة على موظفين مهرة يجيدون الحساب الذي يمكنهم من إحصاء السكان الذين يقدرون بالملايين مع جميع بياناتهم كما نفعل في

الإحصاء اليوم!!، كم من الوقت يلزم لإحصاء مليونين أو ثلاث من السكان؟!، وهل تستطيع السلطة القائمة أن تصدر أوامر بوقف العمل والسفر في أيام محددة ليتم الإحصاء الدقيق للسكان؟!، وهل كان للسكان بطاقات شخصية لتثبت هوياتهم؟!! ولنفترض جدلا أن عدد السكان كان صحيحا في تلك الفترة، فهل نستطيع تصور المساحة التي يشغلونها لسكنهم في بغداد؟ علما أن البناء كان أفقيا ولم يكن عموديا كما هو الحال اليوم!![٩٢] بل إن عدد الضحايا لا يمكن أن يكون صحيحا في ضوء العدد الكلي لسكان بغداد يومذاك. فمساحة بغداد محدودة، حيث تمتد من باب المعظم والباب الشرقي ومن النهر غربا حتى متحف الأسلحة شرقا، وهذه الرقعة لا يمكن أن تضمَّ عددا يربو على المليون[٩٣].

كان دخول المغول إلى بغداد في أواخر المحرم، وما زال السيف يقتل أهلها أربعين يومًا، وكان قتل الخليفة المستعصم بالله أمير المؤمنين يوم الأربعاء رابع عشر صفر وعفى قبره، وكان عمره يومئذ ٤٦ سنة وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأيام، وقتل معه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، وله ٢٥ سنة، ثم قتل ولده الأوسط أبو الفضل عبد الرحمن وله ثلاث وعشرون سنة، وأسر ولده الأصغر مبارك وأسرت أخواته الثلاث فاطمة وخديجة ومريم، وأسر من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر فيما قيل والله أعلم، فإنا لله وإنا إليه راجعون....".[٩٤]

وفي يوم الأربعاء الرابع عشر من صفر رحل هولاكو عن بغداد بسبب عفونة الهواء ونزل بقريتي "وقف وحلابية" [٩٥] على الطريق إلى بعقوبة. وكانت الأسابيع الخمسة من المحرم وصفر (١٠ محرم إلى ١٥ صفر من عام ٦٥٦هـ) من أشد الأيام هولاً و رعباً وتخريبا وسفك دماء في بغداد، ولكن الروايات التاريخية القريبة من الحدث تشير إلى أنه بعد قتل الخليفة المستعصم

يوم (١٤ صفر) اتخذ هولاكو مباشرة جملة وفي نفس اليوم إجراءات إدارية، كان من أهمها: ملء الشواغر بالعناصر الموالية للمغول، فأعطيت الوزارة لمؤيد الدين بن العلقمي، والديوان لفخر الدين الدامغاني، كما عين المحتسبين لمراقبة المقاييس والأوزان، ونصب عماد الدين عمر القزويني نائبا للأمير (قراتاي) وتعيين نظام الدين عبد المؤمن البندنجيني قاضيا للقضاة، ولاستتباب الأمن وضمان السيطرة التامة على بغداد اختار (إيلكا نويان وقرابوقا) ومعهما ثلاثة آلاف من فرسان المغول ليقوموا بإعادة إعمار بغداد ومراقبة الأمن فيها، ثم بادر كل شخص بدفن قتلاه، وطهرت الطرق من جثث الحيوانات النافقة، وعمرت الأسواق [٩٦]. وفتحت المدارس والربط، وأجريت للفقهاء والصوفية الجرايات والأعطيات الشهرية، وسلمت مفاتيح دار الخليفة إلى مجد الدين محمد بن الأثير، ومما قاله شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفي الواعظ:

يا عصبة الإسلام نوحوا واندبوا أسفا على ما حلَّ بالمستعصم
دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي[٩٧]

"لقد أرخ للقتل وأعمال الانتقام والنهب وانتهاك الأعراض أبرز علماء الحاضرة العباسية ومشاهيرها من أمثال كمال الدين الفوطي، خازن كتب المستنصرية في عهد هولاكو، واللبناني قطب الدين اليونيني، ورشيد فضل الدين الهمذاني، والمؤرخ الدمشقي شمس الدين الذهبي، ونصير الدين الطوسي الذي نقل نشاطه العلمي في مجال الفلسفة والفلك إلى مدينة "مراغة" في أذربيجان ونقل إليها من بغداد في ظل احتلال هولاكو ما يزيد على ١٤ ألف كتاب من مختلف الأجناس الأمر الذي يحيط بالشكوك روايات إتلاف الكتب والقضاء على خزائنها من قبل المغول، وطبقا لابن أبي الحديد، فإن هولاكو اصطفى الطوسي لمسئولية خزائن الكتب في بغداد مما لا يصح تعيين مسئول لأمر لا وجود له" [٩٨].

بل يذكر أن أهل الحلة والكوفة كانوا يبادلون بالأطعمة الكتب النفيسة في بغداد مما يعني أن الكتب بقيت متداولة في بغداد بعد سيطرة المغول عليها، والمؤرخون الذين دونوا وقائع سقوط بغداد وكانوا قريبين من الحدث لم يشيروا إلى ذكر إتلاف هولاكو للكتب، منها: "الحوادث الجامعة" وهو أرشيف حي ليوميات الاحتلال و"رسالة استيلاء المغول على بغداد" لنصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ /١٢٧٢م) وكتاب احتلال بغداد لرشيد الدين فضل الله ومعجم ابن الفوطي[٩٩].

وإذا ما كانت الروايات تتحدث عن كل الكتب بما فيها مكتبة المدرسة النظامية التي أسسها الخليفة الناصر لدين الله قبل سبعين سنة من الغزو المغولي، فإن عددها حسب ابن الأثير لا يتجاوز عشرة آلاف مجلد.

وتفيد إشارات غير قليلة أن هذا الخليفة نقل إلى المدرسة المستنصرية الشهيرة وفي نفس الفترة، ما حمله مائة وستون حمالا من الكتب النفيسة أو ما يقدر بثمانين ألف مجلد، كما أن خزانة كتب مؤيد العلقمي وزير الخليفة المستعصم الذي قاتل هولاكو واستسلم له زادت على عشرة آلاف مجلد من نفائس الكتب وقد بقيت بعيدا عن العبث؛ لأن العلقمي استمر في الوزارة إلى حين، فيما لاحقته شبهة التواطؤ مع هولاكو ومراسلته عشية الإغارة على بغداد، وثمة أكثر من إشارة إلى أن تجارة الكتب انتعشت في بغداد بعد أشهر من احتلال المغول لها، وأن ابن بطوطة الذي زارها بعد سبعين سنة رصد حلقات العلم والتأليف في المدرستين النظامية والمستنصرية"[١٠٠].

ويشاء الغلو أن يلف بالنسيان حقيقة إن مدينة بغداد وقبل عامين من احتلال هولاكو تعرضت إلى فيضان لا سابق له، حيث التقى دجلة بالفرات وأغارا على خزائن الكتب والبشر وغمرت موجاتهما الجامحة سطوح المنازل وانصاف شاهق المنائر، مما يتعين، في الأقل إعفاء المغول من العبث

بمصائر الكتب التي جرفتها تلك المياه الغاضبة[١٠١].

لهذا نستطيع أن نقول: إن ما أورده الرحالة الصيني Ch Ang Te المعاصر للغزو في رحلته المسماة " Si ShiKi" عن عدد القتلى هو القرب إلى الحقيقة، حيث يذكر أن عدد القتلى بلغ بضع عشرات من الآلاف، وعلى الأغلب لا يتجاوز الرقم الثمانين ألفا فقط [١٠٢].

وثمة إشارة للجويني . وهو قريب من الأحداث . حيث يقول: إنه لم يبق في البلاد التي فتحها المغول واحد من آلاف من سكانها، وإن أهلها لن يبلغوا حتى يوم القيامة عشر العدد الذي كانوا عليه قبل غارة المغول[١٠٣]، وهذه الرواية تنطوي على قدر كبير من المبالغة...، ومن المؤكد أن كثيرا من أهل المدينة سلموا من القتل ومما يدل على ذلك عودة الازدهار و النشاط إليها بعد فترة قصيرة، كما أن بغداد في أواخر الدولة العباسية لم تكن مزدحمة بالسكان[١٠٤]. ولعل تقدير أحد الكتاب المحدثين بأن عدد القتلى بلغ تسعين ألفا تقدير قريب من الصحة[١٠٥].

لقد ألقت الولايات المتحدة خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥م) قنبلتين ذرّيتين على هيروشيما وناغازاكي اليابانيتين، في ٦، و٩ أغسطس (آب) ١٩٤٥على التوالي. فقُتل ما لا يقل عن ١٦٠ ألف شخص متلظّين بالنار النووية، ومنهم من اختفى جسده بالكامل لأنه صار رماداً تذروه الرياح.وتم هذا بالأسلحة النووية!! فكيف يقتل مليونا شخص خلال أسبوع واحد سمت المصادر التاريخية الأحداث فيه "بالقتل العام"!! وتمت هذه الجرائم البشعة بالسيوف والسهام والنبال والمجنيقات التي ترمي بجذوع النخل ؟!!.

٤. نحو قراءة جديدة للعدد في مصادر التاريخ الإسلامي

إن تدوين حوادث التاريخ وتسجيل أخباره لا يتم بمعزل عن البنى والحوادث السياسية والاجتماعية والثقافية التي يتأثر بها المؤرخ، وعليه فإن

تمحيص الأعداد الواردة في المرويات التاريخية يتطلب ما يلي:

- إن التوظيف السياسي للرواية التاريخية يقدمها مشوهة غير عقلانية، مما يجب معه النقد الصحيح الذي يراعي ما يستحق القبول ورد ما يستحق الرد.
- منهج النقد بعد ابن خلدون تضاءلت فاعليته، وتزايل حضوره، لما قلَّت العناية بالتاريخ ومناهجه وتسجيل وثائقه، في حين انتقل المنهج الصارم في النقد والتحليل والغربلة والتنخيل إلى أوربا الناهضة التي أخذت عن المسلمين مناهج التوثيق والنقد فطورتها وأضافت إليها، ونحن اليوم نستوردها لنطبقها في دراساتنا وهي وافدة علينا من غير سياقاتنا الثقافية والفكرية.
- مراعاة للسياق الذي يرد فيه الخبر، حيث مجموع القرائن والظروف وملابسات الخبر التي توجه الفهم، يجب سوق العدد بعيدا عن التهويل فيه أو التهوين منه.
- يجب على الناقد الإنصاف في تمحيص الخبر ومتابعة العدد بموضوعية ونزاهة بعيدا عن هوى متبع أو إساءة تقدير رغبة في الوقوف على حقائق الأشياء وطلبا لحسن التوجيه لها.
- رغم ما يتسم به منهج المحدثين من صرامة واحتياط وتطبيقه على المرويات التاريخية بالغ الصعوبة في العصور المتأخرة، لكن الاستعانة بمنهجهم أحيانا يفيد في قبول الرواية أو ردها بما تقتضيه أمانة البحث وهيبة العلم وحقائق التاريخ.
- يجب الانطلاق في تمحيص العدد في الرواية التاريخية من فكرة الشك المنهجي الذي يوصل إلى الحق أو ما هو قريب منه.
- استخدام أسلوب الإحصاء والسبر والمقارنة، مع الاستعانة بالعلوم

المساعدة كالجغرافيا وعلم الفلك، وعلم الأنواء وعلم الاجتماع وعلم النفس والاقتصاد وغيرها من العلوم الانسانية والاجتماعية.

- الاعتماد على روايات شاهد العيان أدعى إلى قبول روايته والوثوق بها، ولعله المنهج العمدة في الترجيح بين الروايات عند المحدثين والمؤرخين على حد سواء، مع مراعاة أحواله من حيث تأثيرها في الحدث وانطباعه عنه، فقد يكون مشاركا في صنع الحدث أو مطلعا على جزء منه، أو بعض الآثار المتصلة به.
- شهود العيان ليسوا جميعا في مرتبة واحدة من حيث قربُهم وبعدهم عن الاهتمام بتدوين خبر الحادثة او الانتقاء في رواية بعضها وترك بعضها، مع التهويل في الأعداد أو التهوين منها.
- زيادة العناية والدرس لرفع اللبس عن الروايات التي يحيطها الغموض وتكثر فيها الأرقام وتتضارب فيها التقديرات مما يعكر صفو قبولها ويستدعي النظر في حال رواتها وميولهم وانتماءاتهم السياسية والقبلية والفكرية والمذهبية.
- اعتماد شهادات الرحالة ممن زاروا مواقع الحدث بعد انتهائه، وسجلوا آثار ما انتهت إليه الأحداث ويكون التقديم فيها للأقرب فالأقرب.
- اعتماد مصادر الخصوم في التحقق من خداع الأرقام الواردة في المرويات التاريخية مع نقدها ومقابلتها بالرواية الواردة في مصادرنا التاريخية المعتمدة.
- وضوح المبدأ عند دارس التاريخ والناقد لمروياته يساعد في بناء رؤية تقويمية موضوعية للوقائع التاريخية.
- إن الكثير من الروايات التي تحوي العدد من الجنود أو القتلى أو حصيلة الدمار سواء من الأصدقاء أو الأعداء مبالغ فيها بسبب أن بعض الرواة

يعمدون إلى الحط من أعدائهم ووصفهم بالهمجية و الدموية والمبالغة في عدد ضحاياهم ليظهروا وحشية أعدائهم، مثلما يبالغون في أرقام ضحايا أبطالهم ليظهروا قوتهم وبسالتهم،

- إن تداول الرواية الشفهية وعدم التوثيق يجعل الأخبار عرضة للتضخيم مما يجعل لزاما علينا اليوم أن نضع منهجا صارما لغربلة هذه الروايات بما نتوفر عليه من طرائق للتحقيق ومصادر للتوثيق، وعلوما مساعدة للنقد والتمحيص.

وبعد:

لقد وقعت الذاكرة التاريخية ضحية المبالغة والغلو، ويمكن أن نختم بالقول بإن الأرقام التي تتحدث عنها الروايات التاريخية حول عدد القتلى في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم وفي حروب الردة وفي الفتوح الإسلامية لبلاد العراق والشام وفي معركة الجمل و صفين تنبئ أن عشرات قضوا في هذه الحروب!!، ترى كم كان عدد العرب المسلمين آنذاك حتى تموت منهم هذه الألوف المؤلفة؟!!، كيف استطاعوا أن يمضوا إلى الفتوحات شرقا وغربا بعد ذلك، ويسقطوا أعظم الإمبراطوريات في العالم حينئذ؟!!، كيف استطاعوا أن يصمدوا في بحر تلك الدماء، ثم ينجلي غبار معاركهم في البلاد التي دخلوها عن حضارة ومدنية ورفاه؟!!.

لقد بات مؤكدا أنه يجب مراجعة الأرقام الواردة في مصادرنا التاريخية، و الوقوف عندها موقف الشك و النقد و التمحيص بما يتوافق مع معقولية الوقائع التاريخية، و التي تجمع بين منطق العقل ومعطيات الواقع، والأخذ بقاعدة النسبية الزمانية، مع تحرير الوعي التاريخي من لوثة الوعي الأيديولوجي التي تراكمت عبر الزمن بعوامل العصبية والقبلية والدينية والسلطوية.

الهوامش:

١ . شيماء شاهين. **محمد عابد الجابري وسؤال: كيف نتعامل مع التراث؟** https://walycenterjournal.wordpress.com/2012/06/22.

٢ . المرجع نفسه.

3 University Of The Peoples .Why Is History Important And How Can It Benefit Your Future? https://www.uopeople.edu.

4 . Arcadia Publishing. Why It s Important That We Study History? https://www.arcadiapublishing.com

٥ . الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، ط٢، بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ، ج١/ص٨.

٦ . فاروق عمر فوزي. **نقد الرواية التاريخية عند المسلمين**. ط١، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٧م، ص ١٩.

٧ . المرجع نفسه.

٨ . المسعودي، أبو علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. ط١، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م. ج١/ص١١.

٩ . المقدسي. محمد بن أحمد. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط٣، بيروت: دار صادر، القاهرة: مكتبة مدبولي ص ٦.

١٠ . المصدر نفسه. ص٣.

١١ . ابن مسكويه.. أبو علي أحمد بن محمد. **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، طهران: ٢٠٠٠م، م ج١/ص٤٧.

١٢ . المصدر نفسه. ج١/ص٤٩.

١٣ . عبد الحليم عويس. **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**. ط٢، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨كم، ص٣٤١

١٤ . فاروق عمر فوزي. **نقد الرواية التاريخية عند المسلمين**. مرجع سابق، ص ٢١.

١٥ . ابن حزم، أبو محمد. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. القاهرة: مكتبة الخانجي، ج١/ص١٣٢.

١٦ . عماد الدين خليل. **حول إعادة كتابة التاريخ الاسلامي**. ط٢، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٧م، ص ٢٩.

١٧ . ابن العربي، أبو بكر. **العواصم من القواصم**. تحقيق: محب الدين الخطيب.ط٦، القاهرة: مكتبة السنة ١٤١٢هـ، ص ٢٦٠-٢٦١.

١٨ . المصدر نفسه. ص٢٦٨.

١٩ . المصدر نفسه. ص ٢٤٧.

٢٠ . المقصود هنا هو العصر الراشدي وأحداث الفتنة الكبرى فيه.

٢١ . عماد الدين خليل. **حول إعادة كتابة التاريخ الاسلامي**. مرجع سابق، ص٢٨-٣١.

٢٢ . ابن الأثير، عز الدين. **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م، ج١/ص ٧.

٢٣ . حديد مختار. **النقد التاريخي عند المؤرخ ابن كثير من خلال كتابه البداية والنهاية**. مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العلايا للأساتذة، العدد التاسع ٠٩ رمضان ١٤٣٩هـ جوان ٢٠١٨م. ص ٨١، ٨٢.

٢٤ . ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. **البداية والنهاية**. القاهرة: مطبعة السعادة، ج١/ص١١٤.

٢٥ . علي الوردي. **نظرية المعرفة عند ابن خلدون: دراسة تحليلية**. ترجمة أنيس عبد الخالق محمود، ط١، بيروت: الوراق للنشر، ٢٠١٨م، ص ٢٣٦.

٢٦ . أنظر: علاوة عمارة. **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨م، ص١٩٢، ٢٠١

٢٧ . تمفُل: تنظر.

٢٨ . ابن خلدون. عبد الرحمن. **المقدمة**. ط١، بيروت: الرسالة ناشرون، ٢٠١٩م، ص١٠.

٢٩ . المصدر نفسه. ص ٤٥-٤٦.

٣٠ . المصدر نفسه. ص ٤٧-٤٨.

٣١ . حميد يوسف قوفي. **المنهج النقدي والمرويات التاريخية**. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية و القانونية. مج ١٤، ع٢، ديسمبر ٢٠١٧م، ص ٣١٧

٣٢ . المرجع نفسه. ص ٣١٨.

٣٣ . محمد الشهري. **التاريخ بين نقد المُحدّثين ووعي المؤرخين. المسلمين.** الجمعة ٠١/٠٩/٢٠١٧، https://aljadeedmagazine.com/

٣٤ . أخرجه البخاري. ج ٧/ ص ٥٨٣، (٤٢٦١)

٣٥ . ابن سيد الناس. فتح الدين. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**. ط١، بيروت: دار القلم، ١٩٩٣م، ج٢/ص١٩٧.

٣٦ . معان: مدينة في جنوب الأردن .

٣٧ . مآب: موضع بالأردن بالقرب من معان.

٣٨ . ابن هشام، أبو محمد جمال الدين. **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥م، ج٢/ص٣٧٤. ابن القيم الجوزية. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. ط٣، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٩م، ج٣/ص٤٦١. السهيلي. أبو القاسم. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م، ج٧/ص١٦٥. الكلاعي، سليمان أبوالربيع. **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والثلاثة الخلفاء**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية،١٤٢٠ هـ، ج١/ص٤٩٢.

٣٩ . محمد أحمد باشميل. **غزوة مؤتة**. ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م، ٢٨١-٢٨٤.

٤٠ . عبد الكريم بكار. **التاريخ كيف نفهمه وكيف نستفيد منه ؟**. ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٢١م، ص١٢٥.

٤١ . الواقدي. محمد بن عمر. **فتوح الشام**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م، ج١/ص ١٥٠.

٤٢ . اليافعي. أبو محمد بن سليمان. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧ م، ج١/ص ٦١.

٤٣ . الواقدي. **فتوح الشام**. ج١/ص٢١٦.

٤٤ . عبد الكريم بكار. **التاريخ كيف نفهمه وكيف نستفيد منه ؟**. مرجع سابق، ص١٢٦.

٤٥ . التميمي، سيف بن عمر. **الفتنة ووقعة الجمل**. تحقيق: أحمد راتب عرموش، ط٧، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٣م، ص ٩١.

٤٦ . الطبري. **تاريخ**. ج٤/ص ٤٩٤.

٤٧ . المصدر نفسه. ج٤/ص٥١٥.

٤٨ . المصدر نفسه. ج٤/ص ٥١٩. ابن الأثير. **الكامل**. ج٢/ص٦٠٨.

٤٩ . خليفة بن خياط. **تاريخ**. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دمشق، بيروت: دار القلم ، مؤسسة الرسالة، ص١٨٦.

٥٠ . أكرم ضياء العمري. **عصر الخلافة الراشدة**. ط٧، الرياض: العبيكان، ٢٠١١م، ص٤٥٧.

٥١ . المرجع نفسه. ص ٤٥١.

٥٢ . المرجع نفسه. ص ٤٥٣.

٥٣ . ابن أبي شيبة. أبو بكر عبد الله. **المصنف**. تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م، ج٢١/ص٥١٣، (٤٠٦٣٧) بإسناد صحيح. ابن حجر. **المطالب العالية**. م ١٨/ص ١٤٤/رقم ٤٤٠٦) وقال المحقّق: صحيح بهذا الإسناد، ورواته ثقات.

٥٤ . ابن أبي شيبة. **المصنف**. ج٢١/ص٥٠٨، (٤٠٦٢٢) بإسناد صحيح.

٥٥ . أحمد محمود خليل الشوابكة. **وأد الفتنة: دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين**. ط١، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م ص ١٦٥.

٥٦ . الطبري. **تاريخ**. ج٤/ص٥٠٥.

٥٧ . التميمي، سيف بن عمر. **الفتنة ووقعة الجمل**. ص ١٧٩.

٥٨ . انظر: حامد محمد الخليفة. **الإنصاف في ما وقع في العصر الراشدي من الخلاف**. ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٤م، ص ٤٠٠-٤٠١.

٥٩ . المرجع نفسه. ص ٤٠١-٤٠٢.

٦٠ . ابن خياط. **تاريخ**. ص١٨٦.

٦١ . المصدر نفسه. ص ١٩٠.

٦٢. حامد محمد الخليفة. **الإنصاف في ما وقع في العصر الراشدي من الخلاف**. مرجع سابق، ص ٤٠٢.

٦٣ . أبو حاتم، ابو محمد عبد الرحمن. **الجرح والتعديل**. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٢م، ج٧/ص٧٢، الذهبي، شمس الدين. **سير أعلام النبلاء**. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج٧/ص٣٠١. الصفدي، صلاح الدين خليل. **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث،٢٠٠٠م، ج٢٤/ص٣٠٥.

٦٤ . خليفة. **تاريخ**. ص١٩٣.

٦٥ . المسعودي. **مروج الذهب**. ج٢/ص٤٠٤.

٦٦ . ابن سعد، محمد. **الطبقات الكبير**. تحقيق: علي محمد عمر، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م، ج٩/ص١١٣.

٦٧ . البغوي. أبو القاسم عبد الله بن محمد. **معجم الصحابة**. تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط١، الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠م، ج٣/ص٥٠٠.

٦٨ . تواعدنا: أي تفاهمنا على وقف القتال إلى موعد معين لدفن القتلى أو لسبب آخر يتم التفاهم عليه بين الطرفين.

٦٩ . الحاكم النيسابوري. أبو عبد الله محمد. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ج٣/ص٤٣٦. العمري. **عصر الخلافة الراشدة**. مرجع سابق، ص ٤٧٠.

٧٠ . خالد الرباط، سيد عزت عيد وآخرون. **الجامع لعلوم الإمام أحمد – الرجال**. ط١، الفيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ٢٠٠٩م، ج١٨/ص٥٩٨.

٧١ . محمود زيادة. **الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه**. ط١، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٥م، ص ٤-٥.

٧٢ . القرطبي. أبو عبد الله. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية،١٩٦٤ م، ج١٦/ص٢٢٦.

٧٣ . ابن القيم الجوزية. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ج١/ص١٨.

٧٤ . عبد الحليم عويس. **بنو أمية بين السقوط والانتحار**. ط١، دار الصحوة، ١٩٨٧م ص٣٩.

٧٥ . لم أجد هذه الرواية لا عند الطبري ولا ابن الأثير ولا ابن كثير ولا عند ابن الجوزي ولا

عند السيوطي ولا عند الدينوري ولا عند الذهبي ولا غيرهم من عمد التاريخ. ولم ترد إلا في تفسير الإمام القرطبي. !!

٧٦ . ابن كثير. **البداية والنهاية.** تحقيق: علي شيري، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨ م، ج٩/ص ١١٥. أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي. **المحن.** تحقيق: عمر سليمان العقيلي، ط١، الرياض: دار العلوم، ١٩٨٤م، ص ٢٤٢. ابن خلكان. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.** تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ج٢/ص٣٤٢.

٧٧ . ابن خلكان. **وفيات الأعيان.** ج٢/ص٣٥.

٧٨ . يوسف العش. **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها.**ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م، ص ٢٢١-٢٢٢.

٧٩ . المقدسي، المطهر بن طاهر. **البدء والتاريخ.** بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية، ج٦/ص٤٠.

٨٠ . حسين مروة. **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية.** ط٢، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨م، ص ٥٦.

٨١ . محمد فؤاد الذاكري. **حول التاريخ الإسلامي المفترى عليه.** مجلة الفيصل، السعودية، العدد ٢٤٨، ص ١٣٤.

٨٢ . بامخرمة، أبو محمد الطيب الهجراني. **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر.** ط١، جدة: دار المنهاج، ٢٠٠٨م، ج١/ص٤٣١.

٨٣ . انظر مثلا: كتاب **(تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية)** ليوليوس فلهاوزن، وكتاب **(السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية)** لفان فلوتن.

84 - Brown,E.G: **Literary History of Persia.**Camb University.1955.II P463.

٨٥ . عماد الدين خليل. **الوحدة والتنوع في تاريخ المسلمين.** ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٨م، ص ١٨٢-١٨٣.

٨٦ . الهمذاني، رشيد الدين فضل الله. **جامع التواريخ.** ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

٨٧ . ابن الفوطي، كمال الدين. **الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة.** بغداد: المكتبة العربية.

٨٨ . عماد الدين خليل. **الوحدة و التنوع في تاريخ المسلمين.** مرجع سابق، ص ١٨٣.

٨٩ . الهمذاني، **جامع التواريخ.** ج١/ص٢٩١.

٩٠ . المصدر نفسه، ج١/ص٢٩١.

٩١ . ابن الفوطي. **الحوادث الجامعة.** ص٣٣٠.

٩٢ . حميد الهاشمي. **التهويل و المبالغة في رواية التاريخ: حوادث بغداد أنموذجا.** موقع إيلاف الإلكتروني، الأربعاء ٢٠٠٩/١١/٤.

٩٣ . جعفر خصباك. **العراق في عهد المغول الإيلخانيين.** ط١، بغداد: مطبعة العاني، ١٩٨٦م، ص ٥٦.

٩٤ . ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. **البداية والنهاية.** القاهرة: مطبعة السعادة، ج١٣/ص٢٠٢. ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد. **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام.** تحقيق: الدكتور سمير طبارة، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م، ص٢٣٩. ابن تغري بردي، جمال الدين. **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة.** تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة: دار الكتب المصرية، ج١/ص٢٣٥. شمس الدين الجنبلي، أبو العون محمد بن أحمد. **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب.** ط٢، مصر: مؤسسة قرطبة، ١٩٩٣م، ج١/ص١٨٤.

٩٥ . الهمذاني. **جامع التواريخ.** ج١/ص٢٩٣

٩٦ . المصدر نفسه.ج١/ص ٢٩٥.

٩٧ . ابن الفوطي. **الحوادث الجامعة.** ص٣٣٣، ٣٣٥.

٩٨ . عبد المنعم الأعسم. **هل أتلف المغول حقا مكتبة بغداد ؟.** منتدى العربي، العدد ٤٨٤، https://alarabi.nccal.gov.kw

٩٩ . عبد المنعم الأعسم. **هل أتلف المغول حقا مكتبة بغداد ؟** مرجع سابق.

١٠٠ . المرجع نفسه.

١٠١ . المرجع نفسه.

102.. E Bretschneider , **Medieval Reseaech from Eastern Asiatic**

نقلا عن عبد المنعم رشاد. **احتلال المغول بغداد.** مجلة آداب الرافدين، ٢٤، جامعة الموصل، العدد ١، آب ١٩٧١م. ص٢٥ .**sources**: London 1910.Vol I, P.138-139

١٠٣ . علاء الدين عطا ملك الجويني (ت٦٨١هـ) **تاريخ جهانكشاي.** ليدن، ١٩١١-١٩٣٧م، نقلا عن: عماد الدين خليل. **الوحدة و التنوع في تاريخ المسلمين.** مرجع سابق، ص ٢٠٣.

١٠٤ . جعفر خصباك. **العراق في عهد المغول الإيلخانيين.** مرجع سابق، ص ٥٦.

١٠٥ . نقلا عن: جعفر خصباك. **العراق في عهد المغول الإيلخانيين.** مرجع سابق، ص ٥٦. Grousset ,L Empire de Steppes.P.299.

المصادر:

١. ابن أبي شيبة. أبو بكر عبد الله. **المصنف**.تحقيق: سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري، ط١، الرياض: دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع،، ٢٠١٥م.

٢. ابن الأثير، عز الدين. **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٧م.

٣. ابن العربي، أبو بكر. **العواصم من القواصم**. تحقيق: محب الدين الخطيب. ط٦، القاهرة: مكتبة السنة ١٤١٢هـ.

٤. ابن الفوطي، كمال الدين. **الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة**. بغداد: المكتبة العربية.

٥. ابن القيم الجوزية. **زاد المعاد في هدي خير العباد**. ط٣، بيروت: دار ابن حزم، ٢٠١٩م.

٦. ابن القيم الجوزية. **إعلام الموقعين عن رب العالمين**. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

٧. ابن حزم، أبو محمد. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٨. ابن خلدون. عبد الرحمن. **المقدمة**. ط١، بيروت: الرسالة ناشرون، ٢٠١٩م.

٩. ابن خلكان. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.

١٠. ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد. **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**.

تحقيق: الدكتور سمير طبارة، ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م.
١١. ابن سعد، محمد. **الطبقات الكبير**. تحقيق: علي محمد عمر، ط١، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
١٢. ابن سيد الناس. فتح الدين. **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**. ط١، بيروت: دار القلم، ١٩٩٣م.
١٣. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل. **البداية والنهاية**. القاهرة: مطبعة السعادة.
١٤. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل **البداية والنهاية**. تحقيق: علي شيري، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٨م.
١٥. ابن مسكويه. أبو علي أحمد بن محمد. **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**. تحقيق: أبو القاسم إمامي، ط٢، طهران: ٢٠٠٠م.
١٦. ابن هشام، أبو محمد جمال الدين. **السيرة النبوية**. تحقيق:مصطفى السقا وآخرون، ط٢، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٥م.
١٧. أبو العرب، محمد بن أحمد التميمي. **المحن**. تحقيق: عمر سليمان العقيلي، ط١، الرياض: دار العلوم، ١٩٨٤م.
١٨. أبو حاتم، ابو محمد عبد الرحمن. **الجرح والتعديل**. ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٢م.
١٩. بامخرمة، أبو محمد الطيب الهجراني. **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**. ط١، جدة: دار المنهاج، ٢٠٠٨م
٢٠. البغوي. أبو القاسم عبد الله بن محمد. **معجم الصحابة**. تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط١، الكويت: مكتبة دار البيان، ٢٠٠٠م.
٢١. ابن تغري بردي، جمال الدين. **مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة**. تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة: دار الكتب

المصرية.
٢٢. التميمي، سيف بن عمر. **الفتنة ووقعة الجمل**. تحقيق: أحمد راتب عرموش، ط٧، بيروت: دار النفائس، ١٩٩٣م.
٢٣. الحاكم النيسابوري. أبو عبد الله محمد. **المستدرك على الصحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
٢٤. خليفة بن خياط. **تاريخ**. تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، دمشق، بيروت: دار القلم ، مؤسسة الرسالة.
٢٥. الذهبي، شمس الدين. **سير أعلام النبلاء**. ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢٦. السهيلي. أبو القاسم. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**. تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠م.
٢٧. شمس الدين الجنبلي، أبو العون محمد بن أحمد. **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب**. ط٢، مصر: مؤسسة قرطبة، ١٩٩٣م.
٢٨. الصفدي، صلاح الدين خليل. **الوافي بالوفيات**. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث،٢٠٠٠م.
٢٩. الطبري، محمد بن جرير. **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك**، ط٢، بيروت: دار التراث، ١٣٨٧هـ.
٣٠. علاء الدين عطا ملك الجويني (ت٦٨١هـ) **تاريخ جهانكشاي**. ليدن، ١٩١١-١٩٣٧م.
٣١. القرطبي. أبو عبد الله. **الجامع لأحكام القرآن**. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية،١٩٦٤م.

٣٢. الكلاعي، سليمان أبوالربيع. **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – ﷺ– والثلاثة الخلفاء ط١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٢٠هـ.**
٣٣. المسعودي، أبو علي بن الحسين. **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. ط١، صيدا – بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٥م.
٣٤. المقدسي. محمد بن أحمد. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**. ط٣، بيروت: دار صادر، القاهرة: مكتبة مدبولي.
٣٥. المقدسي، المطهر بن طاهر. **البدء والتاريخ**. بورسعيد: مكتبة الثقافة الدينية.
٣٦. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله. **جامع التواريخ**. ترجمة محمد صادق نشأت وآخرون، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
٣٧. الواقدي.محمد بن عمر. **فتوح الشام**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.
٣٨. اليافعي. ابو محمد بن سليمان. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م.

المراجع:

١. أحمد محمود خليل الشوابكة. **وأد الفتنة: دراسة نقدية لشبهات المرجفين وفتنة الجمل وصفين على منهج المحدثين**. ط١، عمان: دار عمار للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩م.
٢. أكرم ضياء العمري. **عصر الخلافة الراشدة**. ط٧، الرياض: العبيكان، ٢٠١١م.
٣. جعفر خصباك. **العراق في عهد المغول الإيلخانيين**. ط١، بغداد: مطبعة

العاني، ١٩٨٦م.

٤. حامد محمد الخليفة. **الإنصاف في ما وقع في العصر الراشدي من الخلاف**. ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٠٤م.

٥. حديد مختار. **النقد التاريخي عند المؤرخ ابن كثير من خلال كتابه البداية و النهاية**. مجلة قضايا تاريخية، المدرسة العلايا للأساتذة، العدد التاسع ٠٩ رمضان ١٤٣٩هـ جوان ٢٠١٨م.

٦. حسين مروة. **النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية**. ط٢، بيروت: دار الفارابي، ٢٠٠٨م.

٧. حميد الهاشمي. **التهويل والمبالغة في رواية التاريخ: حوادث بغداد أنموذجا**. موقع إيلاف الإلكتروني، الأربعاء ٢٠٠٩/١١/٤م.

٨. حميد يوسف قوفي. **المنهج النقدي و المرويات التاريخية**. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية و القانونية. مج ١٤، ع٢، ديسمبر ٢٠١٧م.

٩. خالد الرباط، سيد عزت عيد وآخرون. **الجامع لعلوم الإمام أحمد ـ الرجال**. ط١، الفيوم: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، ٢٠٠٩م.

١٠. شيماء شاهين. **محمد عابد الجابري وسؤال: كيف نتعامل مع التراث؟** https://walycenterjournal.wordpress.com/2012/06/22

١١. عبد الحليم عويس. **بنو أمية بين السقوط والانتحار**. ط١، دار الصحوة، ١٩٨٧م.

١٢. عبد الحليم عويس. **ابن حزم الأندلسي وجهوده في البحث التاريخي والحضاري**. ط٢، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٨م.

١٣. عبد الكريم بكار. **التاريخ كيف نفهمه وكيف نستفيد منه؟**. ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٢١م.

١٤. عبد المنعم الأعسم. **هل أتلف المغول حقا مكتبة بغداد؟**. منتدى العربي، العدد ٤٨٤، https://alarabi.nccal.gov.kw.

١٥. عبد المنعم رشاد. **احتلال المغول بغداد**. مجلة آداب الرافدين، ٢٤، جامعة الموصل، العدد ١، آب ١٩٧١م.

١٦. علاوة عمارة. **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والمغرب الإسلامي**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٨م.

١٧. عماد الدين خليل. **الوحدة و التنوع في تاريخ المسلمين**. ط١، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٨م.

١٨. عماد الدين خليل. **حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي**. ط٢، بيروت: دار ابن كثير، ٢٠١٧م.

١٩. فاروق عمر فوزي. **نقد الرواية التاريخية عند المسلمين**. ط١، العين: مركز زايد للتراث والتاريخ، ٢٠٠٧م.

٢٠. محمد أحمد باشميل. **غزوة مؤتة**. ط٢، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤م.

٢١. محمد الشهري. **التاريخ بين نقد المُحدّثين ووعي المؤرخين. المسلمين**. الجمعة ٠١/٠٩/٢٠١٧، https://aljadeedmagazine.com/.

٢٢. محمد فؤاد الذاكري. **حول التاريخ الإسلامي المفترى عليه**. مجلة الفيصل، السعودية، العدد ٢٤٨، ص ١٣٤.

٢٣. محمود زيادة. **الحجاج بن يوسف الثقفي المفترى عليه**. ط١، القاهرة: دار السلام، ١٩٩٥م،

٢٤. يوسف العش. **الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها**.ط٢، دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥م.

مراجع أجنبية

25. Arcadia Publishing. Why It is Important That We Study History? https://www.arcadiapublishing.com
26. Brown,E.G: **Literary History of Persia.**Camb University.1955.II P463.
27. E Bretschneider , **Medieval Research from Eastern Asiatic sources**: London 1910.Vol I, P.138-139
28. University Of The Peoples -Why Is History Important And How Can It Benefit Your Future? https://www.uopeople.edu.